

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

المنهجية في الدراسات العسكرية.

Methodology in military studies

نسليم بلهول Nacim Belhou

قسم العلوم السياسية – جامعة علي لونيبي / البلدية 02 University of Blida

nassaiki@yahoo.fr

تاريخ القبول : 2019-05-24

تاريخ الاستلام : 2019-04-24

الملخص:

الملخص باللغة العربية: إن تزايد دور العلم العسكري وتعاضم تأثيره على كافة جوانب النشاطات العملية للقادة على مختلف مستوياتهم يجري في الوقت الحاضر جنباً إلى جنب مع تسارع وتغيرات التطور والمتغيرات في مضمون المعارف العسكرية – العلمية نفسها والتعقيدات التي طرأت عليها. وفي مثل هذه الظروف العصيبة والحرجة فإن المسألة الملحة التي تطرح نفسها هي زيادة فعالية العلم العسكري الذي يقع على عاتقه تقديم أفضل النتائج بأقل استهلاك ممكن من الوسائط المادية وبأقصر فترات زمنية والمطالب في الوقت نفسه بوضع حد لمعضلات العمل العسكري الحيوية. والشرط الذي لا غنى عنه لتحقيق فعالية العلم العسكري وتحقيق أفضل النتائج للأبحاث المتعلقة به ووضعها قيد الممارسة العملية داخل الكيان العسكري هو السعي المتواصل نحو أعداد الأسس المنهجية للمعرفة العسكرية – العلمية وتطويرها – على هذا الأساس – للأساليب العامة والخاصة بغية حل المسائل النظرية والعلمية في المؤسسة العسكرية.

الكلمات المفتاحية: المعرفة العسكرية : المنهجية : العلم العسكري : النظرية : المنهجية

Abstract :

The increasing role of military science and its increasing influence on all aspects of the practical activities of leaders at various levels are taking place simultaneously with the acceleration and evolution of developments and changes in the content and complexities of military-scientific knowledge. In such difficult and critical circumstances, the pressing issue that arises is to increase the effectiveness of military science, which has the best results with the least possible use of physical media and with short periods of time, while demanding an end to the dilemmas of vital military action. The indispensable condition for achieving the effectiveness of military science and achieving the best results for its research and its practical application within the military entity is the continuous pursuit of the systematic bases of military-scientific knowledge and its evolution on this basis for public and private methods to resolve theoretical and scientific issues in the military establishment

key words :

Military knowledge; Methodology; Military science; the theory ; Methodology.

مقدمة:
النشاط الواعي الصادر عن الإدراك وتقدم نهجا علميا
معللا لدراسة وحل مسائل النظرية والممارسة
العسكرية. ويفتح استخدامها الطرق الملائمة للبحث
العسكري – العلمي وتحليل وتقييم الأحداث العسكرية
تقوم مناهج بحث المعرفة العلمية الميدانية بتسليح
الكوادر العسكرية بالمفاهيم حول جوهر ومبادئ وطرق

لل قوات المسلحة، فالسيطرة بشكل علمي على القوات شرط حاسم للوصول إلى النصر.

وتجري في الوقت الحاضر أعمال مستمرة للتقريب بين النشاط العلمي والتطبيق العملي في الكوادر العسكرية، فاتخاذ القرارات للمعركة أو العملية وتنظيم تعاون القوات وتأمينها، وتطوير أشكال وأساليب المهارات الميدانية والجوية والبحرية للأفراد وتربيتهم أيديولوجيا ونفسيا يتخذ يوما بعد يوم طابعا علميا يستوجب الاعتماد على الدراسة والبحث وأحداث الانجازات العلمية.

وتمس هذه التوجهات النشاط العسكري مباشرة وبشكل كامل، إذ يستحيل تحقيق النجاح في كافة مجالات الممارسة القتالية والإعداد السياسي لأفراد القوات المسلحة دون أخذ انجازات العلم العسكري المعاصر بعين الاعتبار.

إن تزايد دور العلم العسكري وتعاظم تأثيره على كافة جوانب النشاطات العملية للقادة على مختلف مستوياتهم يجري في الوقت الحاضر جنبا إلى جنب مع تسارع وتيرات التطور والمتغيرات في مضمون المعارف العسكرية - العلمية نفسها والتعقيدات التي طرأت عليها. وفي مثل هذه الظروف العصبية والحرجة فإن المسألة الملحة التي تطرح نفسها هي زيادة فعالية العلم العسكري الذي يقع على عاتقه تقديم أفضل النتائج بأقل استهلاك ممكن من الوسائط المادية وبأقصر فترات زمنية والمطالب في الوقت نفسه بوضع حد لمعضلات العمل العسكري الحيوية. والشرط الذي لا غنى عنه لتحقيق فعالية العلم العسكري وتحقيق أفضل النتائج للأبحاث المتعلقة به ووضعها قيد الممارسة العملية داخل الكيان العسكري هو السعي المتواصل نحو أعداد الأسس المنهجية للمعرفة العسكرية - العلمية وتطويرها - على هذا الأساس - للأساليب العامة والخاصة بغية حل المسائل النظرية والعلمية في المؤسسة العسكرية.

الجارية وتساعد على الأخذ بعين الاعتبار تأثير مختلف العوامل على سير الأعمال القتالية والكشف عن أسباب الانتصارات والنكسات في الحرب.

إن الطبيعة المعقدة والديناميكية لتطور القضايا العسكرية المعاصرة لا تحتتمل سلوكا يتصف بالتقليد والميكانيكية في حل المشاكل النظرية والعملية. وتقدم المناهج العلمية القدرة على رؤية كافة الظواهر من حيث تطورها وتبدلها المستمر وارتباطها الوثيق بظروف معينة ومحددة وتكشف عن جوهر التفكير الخلاق للكوادر العسكرية وإمكانيات وطرق الرؤية المسبقة والعلمية للأحداث العسكرية وعلاقة التفكير الإنساني المبدع بالعتاد الإلكتروني وخاصة الحواسيب الإلكترونية المستخدمة في المجالات العسكرية.

تلعب المناهج البوليمولوجية دورا كبيرا وعظيم في التقييم الصحيح للعلم العسكري وإظهار جوهره الاجتماعي - السياسي ودوره الحيوي، وأن معرفة العدو المتوقع لا تعني فقط الإطلاع على تسليحه وعتاده وأساليبه في إشعال وخوض الحروب وإستراتيجيته وتكتيكه وإنما الإطلاع أيضا على الأسس المنهجية للمعرفة والممارسة العملية لكوادره العسكرية.

تتميز المرحلة الراهنة للبناء العسكري بالتجديد المكثف -الذي لم يسبق له مثيل- في وسائل الحرب وباكتشاف أنواع جديدة من الأسلحة والعتاد على درجة عالية من الجودة، وبالبحث عن أشكال وأساليب للأعمال الإستراتيجية والعملية والتكتيكية التي لم يسبق أن لجأ إليها جيش من الجيوش في العالم. وتستدعي الضرورة إحداث أساليب جديدة لتنفيذ الأعمال القتالية وطرق لتطوير البنية التنظيمية للقوات المسلحة وتدريبها القتالي ورفع جاهزيتها وتعليل هذه الإجراءات نظريا قبل أن تدخل إلى حيز التنفيذ والممارسة العسكرية العملية، وهذه الأمور مجتمعة هي التي أدت بدور العلم إلى قفزة سريعة بحيث أوصلته إلى مكانة أصبح معها أهم عامل في الهيمنة العسكرية

ونكشف في هذا الكتيب - الذي نضعه بين يدي القارئ - عن خصائص استخدام المناهج العلمية الميدانية في عملية المعرفة العسكرية سواء من ناحية تطوير النظرية العسكرية والمعرفة العسكرية النظرية أو من ناحية تقدير القائد للموقف القتالي واتخاذ قرار المعركة وتنظيم التعاون والتأمين القتالي والحفاظ على الجاهزية القتالية العالية والدائمة للوحدات والقطعات والتشكيلات والممارسة العملية للمعرفة العسكرية. فالعلم العسكري قبل كل شيء يحتاج إلى إبراز ارتباطه بالبحث العلمي ونتائج ذلك البحث. وهذا من منطلق أن إدارة المعرفة العسكرية يجب أن ترتبط بنتائج الدراسات والبحوث العلمية. إذ لا بد من صياغة منهج علمي واضح للعلوم العسكرية بين على التجربة العسكرية الميدانية. وهذا يكون أقرب إلى مناهج البحث العلمي في العلوم الإجتماعية. إذن لا بد من الإلمام التام بمناهج البحث العلمي في الدراسات المقاربة للمعرفة العسكرية. وبذلك يمكن الوثوق إلى حد كبير في نتائج البحوث العسكرية التي يستفاد منها في التطبيقات الميدانية العسكرية.

ويحتل مكان الصدارة - في هذا الكتيب - تحليل الملامح المميزة لبحث العوامل المادية والروحية للحرب والكشف عن جوهر الممارسة القتالية ودورها في تطوير النظرية القتالية والعلاقة بين الجوانب الحسية والمنطقية للمعرفة من الناحيتين العملية والنظرية، وإظهار الوظيفة المنطقية لقوانين ومقولات التفاعل في المعرفة العسكرية - العلمية، وكذلك تحليل مضمون أشكال وطرق تطوير المعارف العسكرية - العلمية ونقد الأسس المنهجية للنظريات العسكرية التقليدية. وقد أوليت عناية خاصة لمسائل الإبداع والخلق لدى القائد في الموقف القتالي عند اعتبار أنها من أهم شروط تحقيق النجاح في المعركة. ويتضمن الكتاب توصيات محددة تتعلق بزيادة فعالية الأبحاث العسكرية - العلمية وتنفيذ المهام العملية من قبل القادة والهيئات

إن الحرب - بالنسبة للإدراك - أمر خاص يدعو لانشغال المعرفة، والحال كذلك بالنسبة للظروف التي يجري في إطارها تطور النظرية العسكرية واتخاذ القرارات العملية. ويؤثر مضمون العلم العسكري الحديث بشكل جوهري على المعرفة العسكرية - العلمية وعلى أساليب البحث التي يتم اللجوء إلى استخدامها. ومن هذا المنطلق تعتبر الحرب من جانبيها النظري والعملي - على حد سواء - نوعا خاصا ومميزا من المعرفة العلمية تختلف اختلافا جوهريا عن الأنواع الأخرى من نشاطات المعرفة والإدراك. لذا كان من الأهمية بمكان - في هذا الصدد - اللجوء إلى المبادئ العامة للنهج البوليمولوجي الذي تم طرحه في مناهج المعرفة العسكرية - العلمية.

ولا تتحدد فعالية العلم العسكري بالتوسع في إعداد مناهج المعرفة العسكرية - العلمية وحسب، وإنما في مدى استيعاب الكوادر العسكرية لها، ومن هنا يكون من الأهمية بمكان في الوقت الحاضر ليس إشراك الأكاديميات ومؤسسات البحث العلمي في الأبحاث العسكرية - العلمية فقط وإنما مساهمة الدوائر العسكرية والأركان العملية وأركان القوات والهيئات السياسية أيضا، وهذا يعني عمليا إشراك كافة الجنرالات، والضباط بغض النظر عن المناصب التي يشغلونها.

إن معرفة المناهج العسكرية - العلمية وطرق البحث العامة والخاصة هي - في عصرنا هذا - عوامل حاسمة في إنجاح الممارسة العملية لكافة القادة وضباط الأركان والهيئات السياسية في السيطرة على القوات أثناء المعركة وفي تنظيم التدريب القتالي والسياسي في القطعات والوحدات وتطوير جاهزيتها القتالية.

وتقوم هذه الدراسة وتعمل على توجيه الكوادر العلمية والعسكرية المسؤولة نحو استيعاب وإتقان مناهج البحث العلمي لظاهرة الحرب و المهام الحيوية ذات الطابع العسكري بشكل خلاق وتطوير الإمكانيات القتالية للجيش والأسطول.

موجبة وهادفة للنشاط العملي. فالأنماط النموذجية للواقع التي يكونها الوعي (الإدراك)، الأفكار، النظرية... الخ، هي عبارة عن نتيجة للتفاعل الجدلي لذات وموضوع المعرفة، والتي تتشكل تحت تأثير مباشر لمصالح وأحاسيس ومعارف الإنسان الاجتماعي وغاياته الحقيقية العملية. وبالممارسة يتم إغناء وعي الإنسان بخبرة جيدة تضاف إلى المعرفة الموجودة أصلا لديه ليجري بعد ذلك تفهمها وتعديلها بواسطة التفكير، لتقدم مادة للتطور اللاحق للأفكار والأحاسيس والمصالح والمتطلبات العملية للإنسان.

وقد تم في مجرى التحول الاجتماعي للإنسانية البحث في مجموعة كبيرة ومعقدة لأشكال التفكير: كالمفهوم أو لمحاكمة العقلية والاستنتاج الذهني، ولأساليب معالجة الفكر للمادة التي يتم إدراكها بالإحساس: كالتحليل والتركيب الناتج عن الجمع بين ما هو مطروح للبحث ونقيضه (الفلسفة الجدلية المنسوبة إلى الفيلسوف الألماني "هيجل") والتعميم والتجريد... الخ.² ولم يتم اللجوء إلى هذه الأشكال والأساليب كمدخل تفاعلي معقد، متناقض ومبدع لانعكاس الواقع على الإدراك وإنما كواسطة لتجميع وترسيخ وتركيز المعارف التي تم الحصول عليها.

والمعرفة هي انعكاس للواقع الموضوعي على المستويين التجريبي والنظري. وتتشكل نتيجة للتجربي منها معارف غير منتظمة - بشكل كاف- للظواهر والحقائق، وعلى الرغم من أنها لا تكشف عن الجوهر العميق وقوانين تطور الواقع، إلا أنها تستخدم بشكل دائم في ممارسات الحياة اليومية. وفي البحث العلمي يكتسب الانعكاس على المستوى النظري أهمية تفوق غيرها، حيث يطرح مهمته على أنها التعمق في جوهر الظواهر الموضوعية قيد الدرس واسترجاعها في الوعي على شكل مقولات وقوانين ونظريات علمية، أي على شكل تجريد علمي يعكس الارتباطات المتبادلة العميقة والجوهرية للعالم.

السياسية والأركان أثناء عملية الإعداد القتالي والسياسي للقوات والسيطرة عليها في المعركة والعملية.

وقد اعتمدت عند كتابة هذا البحث على الآثار التي خلفها كلاسيكيو فن الحرب وما تضمنته الوثائق التوجيهية للجيش العالمية وتعليمات قيادات الأركان حول الإعداد القتالي والسياسي والعمل العسكري - العلمي في القوات المسلحة واستعتبما تجمع من خبرات الأبحاث العلمية في القوات والمؤسسات العسكرية - العلمية، كما لجأت إلى الاستفادة من المؤلفات التي نشرت.

المحور الأول:

الأساس المنهجي للمعرفة العسكرية العلمية.

إنبحوث العمليات هي الأساس المنهجي العام لكافة العلوم على اعتبار أنها تشكل المقاربة الوحيدة الهادفة إلى دراسة المعرفة العلمية والتحولات الثورية في العالم. ويكمن سر عظمة قوتها الخلاقة على التغيير في ارتباطها الوثيق بالحياة الميدانية العسكرية ومسرح العمليات وقدرتها على الإغناء على أساس تحليلها للواقع من كافة الجوانب.

والمعرفة هي انعكاس للواقع الموضوعي إدراك الناس، وأن ما يوجد خارج كياننا هي الأشياء، وما مغيلتنا وتصوراتنا إلا أنماط وأشكال لها يتم مراجعتها وفصل الحقيقي عن الوهمي منها بالممارسة والمران. وفي الحالة التي ينعدم فيها وجود أي شيء في العقل الباطن للبشر ينعدم في نهاية المطاف انعكاس مجريات أمور وأشياء العالم الموضوعي.¹

وإلى جانب ذلك فإن المعرفة ليست نسخة آلية للظواهر الموجودة بصورة حقيقية، وأن انعكاس العالم الموضوعي في الدفاع البشري ليس سلبيا وإنما يتصف بطابع إيجابي مبدع بالنظر إلى أنه يجري في إطار عملية

الفلسفية" على أنها "المذهب الفلسفي الذي يلقي الضوء على طرائق المعرفة وتكوين الواقع، وعلى أنها استخدام لمبادئ العقيدة في عملية الوعي من الناحيتين الإبداعية الروحية والممارسة العملية ككل"⁵. يشكل التفاعل- الموضوعي لمناهج البحث العلمية دليلاً للمعرفة الحية والخلاقة وتكوّن العالم بما يتلاءم وقوانينها التاريخية أهمية كبيرة في إدراك الحرب والشؤون العسكرية، حيث تكشف القوانين العامة للحياة الاجتماعية. وتمهد المعرفة الموضوعية للتاريخ الطريق لفهم الحرب كظاهرة اجتماعية وليدة العلاقات المتصارعة في المجتمعات الإنسانية القائمة على معضلة السجين. وتسمح الموضوعية التاريخية بتفهم دور الجماهير الشعبية والقادة في الحرب وتفاعل القوى المادية والروحية والعوامل الموضوعية والذاتية في الشؤون العسكرية. وبهذا بالتحديد يتم تبرير الممارسة العملية في تعزيز القوة العسكرية وتطوير العلم العسكري في الدولة.

كان لفهم التفاعلي الموضوعي للمجتمع أول من وفر الإمكانية لتكوين وجهات نظر علمية لمثل هذه الظاهرة الاجتماعية كالحرب وأول من أسس التعاليم الميدانية عن الحرب والجيش. التي تكوّن الأساس المنهجي المباشر للمعرفة العسكرية - العلمية.

واستناداً إلى النهج التفاعلي الموضوعي تجاه الحياة الاجتماعية فإن هذه التعاليم تزيح الستار عن الجوهر الاجتماعي -السياسي للحروب والأسباب العامة لنشوبها وطبيعة وأنواع حروب كل حقبة تاريخية. وتقوم الكوادر العسكرية للدول بالبحث المتواصل عن أساليب تنفيذ الحروب الحديثة وخصوصاً الحروب في سبيل حماية المصالح الحيوية للدولة، كما يقومون بتقصي ودراسة أشكال الأعمال الإستراتيجية والعملياتية والتكتيكية.⁶ وتكشف هذه التعاليم عندما تتعرض لمسألة الحرب والجيش عن ماهية الجيوش وارتباط مهامها وتنظيمها بالعلاقات الاجتماعية والظروف الاقتصادية وتستخدم

وللفلسفة الحربية أهمية كبيرة ومتميزة حيث تزخر بالمعارف العلمية - بما في ذلك المعرفة العسكرية - العلمية - والمعارف الأكثر شمولاً والتي تنطرق للتسلح وانعكاساته على وعي الإنسان، فإلى جانب أنها تمثل - وفي آن واحد - عقيدة ومنطقاً ونظرية فهي لا تقوم بتسليح الناس بفهم القوانين العامة لتطور الواقع فحسب بل توفر للباحث أيضاً مبادئ المعرفة مستمدة من الطبيعة التفاعلية للعالم الموضوعي وخصائص انعكاسه على الإدراك. وفي هذا بالذات ينحصر - قبل كل شيء - دور الفلسفة العلمية كمنهج عام لكافة العلوم. وتأتي صعوبة وتعدد جوانب الدور المنهجي لبحوث العمليات من تنوع الوظائف التي تقوم بها.³

فالللسفة الحربية كتوجه فكري تعني الإقرار بوجود العالم الموضوعي وقوانين تطوره التي تنعكس في وعي الإنسان وبالذات الحاسم للممارسة العملية في إدراك وتكوين الواقع وتوجيه الكوادر العسكرية نحو تقصي العمليات المتعاقبة والموضوعية وقوانين الحرب والشؤون العسكرية في تطورها الدائم والمستمر. والفلسفة الحربية عندما تبرز كمنطق تفاعلي وكفلسفة علمية لتكوين القوانين ومقولات التفكير على اعتبار أنه انعكاسات لعلاقات وعمليات جوهرية للعالم الحقيقي فهي تحدد التركيب المنطقي لعملية التفكير في حل المشاكل النظرية والعملية للعلم العسكري.⁴ وهي كمنظرية وعي تكشف عن جوهر وبنية عملية الإدراك وعلاقة وصلة عناصرها وفهم الحرب من خلال مظاهرها الخارجية إلى حين اكتشاف قوانينها والاستفادة منها عملياً.

وعلى هذا النحو فإن التفاعل والموضوعية التاريخية يزيحان الستار عن جوهر المعرفة سواء من ناحية العلاقة بالعالم الموضوعي أو من جهة الشكل المنطقي لعمليات الإدراك المتعاقبة، وبفضل هذا يبرز كطريقة وتعاليم عامة وشاملة تحدد الأساليب والمبادئ الأساسية لمعرفة الظواهر الطبيعية والاجتماعية بما في ذلك الحرب. تعرف مناهج البحث العلمية في "الموسوعة

وفي رأي مجموعة من الباحثين فإن لمنهج كل علم – إذا أخذ بحجمه الكامل، بنية معقدة للغاية، وما يلفت النظر في هذا الصدد، الرأي الذي أدلى به الأكاديمي ج. فالديز من أن مجمل المبادئ النظرية والاستنتاجات العامة والتأويلات لكل علم تشكل المنهج العلمي الذي يتلاءم مع الطريقة العلمية العامة لتفسير ظروف و طبيعة الحرب في السياسة الدولية.

إن وضع الحدود للمستويات والجوانب المختلفة للمعرفة العسكرية – العلمية ضروري لتقييم أهمية كل منها بشكل صحيح، وتشكل المعرفة العسكرية العلمية والموضوعية التفاعلية والميدانية أساسا لهذا التقييم حيث تنبثق عنها المبادئ الرئيسية للنشاط الواعي والمدرك والموجهة نحو استخدام بقية المتطلبات المنهجية العلمية.

تتحدد أولوية مبادئ المقاربة في إطار مناهج المعرفة العسكرية – العلمية بشمولية قوانينها ومبادئها من حيث علاقتها بعلوم ومجالات المعرفة الأخرى. ويتسع التفاعل لكافة نواحي الواقع إلا أنه يظهر في كل مجال محدد بشكل مميز ومعين، ففي المجال العسكري يكون هذا الشكل عبارة عن أساليب معقدة ومتراصة فيما بينها لتنفيذ العمليات والمعارك استنادا للمذاهب الاستراتيجية وفن العمليات والتكتيك وتفاعل القوى المادية والروحية والعوامل الموضوعية والذاتية في الحرب. وتنحصر مهمة العلم العسكري في إدراك وكشف هذا التفاعل الخاص بالحرب والشؤون العسكرية وتقديمه على شكل نظرية علمية تصلح لأن تكون دليلا ومرشدا في التطبيق العملي.

إن معرفة قوانين التفاعل و الصدام المسلح الشاملة لكافة نواحي الواقع تفتح أقصر الطرق وأكثرها وضوحا نحو إدراك تفاعل العمل العسكري وقوانينه وكل ما له صلة به. والفهم العميق لأسس الفن العسكري يسهل – بدوره- البحث في لب معضلات فروعه وهي الإستراتيجية وفن العمليات والتكتيك وإيجاد الأساليب الفعالة لحلها

كمنطلق نظري لتحديد طرق وأساليب إعداد القوات المسلحة.

ترتبط الحرب ارتباطا وثيقا بجميع جوانب الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية والعقائدية، وأصبحت هذه الصلة في وقتنا الحاضر أكثر التحاما، ولهذا تدخل في مجال بحث المعرفة العسكرية – العلمية مشاكل ذات طابع اقتصادي وسياسي وعقائدي والتي يشكل الأساس المنهجي لحلها ليس مسرح العمليات وحسب وإنما الأجزاء الأخرى المكوّنة لروح الدولة كالاقتصاد السياسي والثورة العلمية، إذ أن هذه الأخيرة بوحدة أجزائها كافة تدخل كمنهج علمي في حل مهام جميع جوانب معرفة الحرب والشؤون العسكرية وذلك من حيث علاقتها بالبحث العسكري – العلمي ككل، فهي ثورة في النهج والتفكير والعمل.⁷

وينشأ عن القوانين العامة لتطور الحياة الاقتصادية التي كشفت عنها الاقتصاد السياسي مبادئ منهجية علمية لحل مسائل تتعلق بدور الاقتصاد في الحرب وتأثير الحرب على الاقتصاد والتأمين الاقتصادي لتنفيذ الحرب وغير ذلك من مشاكل يدرسها العلم العسكري – الاقتصادي.

إن حروب العصر الحديث معقدة ومناقضة إلى حد كبير للتقدم الاجتماعي وتطور التحول الثوري السلمي. ولهذا فإن كثير من المعضلات الاجتماعية، السياسية للحروب المعاصرة يمكن أن تحل بشكل صحيح في حال استخدام المبادئ المنهجية للمعرفة العلمية التي تكشف قوانين الانتقال من المجتمع المهدد إلى المجتمع الآمن، وينسب إلى تعداد مثل هذه المعضلات: مسألة الحرب والثورة في الظروف الراهنة وقضية الدفاع عن الوطن وطبيعة الحروب في سبيل حماية كيان الدولة وماهية ووظيفة القوات المسلحة في الدولة... وما إلى ذلك من مسائل.

السياسية والروحية وإظهار أهمية فن القيادة وتفهم طبيعة أعمال القوات الصديقة والقوات المعادية وكشف نظام التعاون والتأمين وإمكانيات الجانبين والأساليب الملائمة لعمل الوحدات.

وبالتالي فهم مضمون المهام المسندة وإعطاء تقدير كمي ونوعي لنسبة قوى الطرفين... الخ - وبعبارة أخرى استخدم مجمل مقولات وقوانين التفاعل والصدام المسلح وهو ما يتحتم أيضا عند دراسة تاريخ الأعمال القتالية في الماضي وأثناء تدريب الضباط وخلال الإعداد العملي للمعركة. إن استخدام المناهج العلمية بنجاح في المعركة العسكرية - العلمية ممكن فقط على أساس الإلمام العميق بمنهج بحوث العمليات وفن الحرب وبالقضايا العسكرية من نظرية وتطبيق.

يكمن الارتباط المتبادل العضوي للممارسة القتالية والعلم العسكري فيلب الفن العسكري الرفيع لكوادر جيوش اليوم. وعلى هذا النحو فإن الأساليب العلمية المستخدمة كمناهج علمية في المعركة العسكرية تستخدم كسلاح قوي في خدمة التفكير وتوفره التعمق والانسجام والتسلسل المنطقيين.

المحور الثاني:

المبادئ المنهجية الأساسية في الدراسات العسكرية.

إن أحد المبادئ التي تنطلق منها المعرفة العسكرية هو توفر الموضوعية التي لا تنحرف عن مبادئها عند دراسة التحولات العسكرية المتعاقبة. وهذا المبدأ كغيره من مبادئ النشاط المدرك والواعي ناتج من قوانين التفاعل وقوانين التطور العسكري ويعتبر شرطا لا غنى عنه للمعرفة العسكرية - العلمية والنشاط العسكري الناجح، ومن هنا فإن له الأولوية في دراسة المشاكل

وفي هذا - على وجه التحديد - يكمن سر الوظيفة المنهجية العلمية لهذه المقاربة من حيث علاقتها بالعلم العسكري.

لا يمكن للمناهج العلمية أن تأخذ على عاتقها حل مسائل محددة للنظرية العسكرية والممارسة العلمية، وإنما مهمتها هي إظهار الطرق الرئيسية لدراسة هذه المسائل العسكرية أو تلك وتحديد وتقييم سبل المعرفة وتسليح المهتمين بها بمبادئ واعية وتقديم العون في تفادي الاستنتاجات الميتافيزيقية والعقائدية الخاطئة والمفاهيم العسكرية النظرية المضللة.

ومهما كانت المهمة معقدة فإن إنجازها يتم بشكل رئيسي عن طريق الاستخدام البارع لمجموعة قوانين ومقولات علم الصراعات والحروب في حل المسائل ذات الطابع العسكري. فكل مقولة وأي قانون للموضوعية التفاعلية الميدانية عبارة عن معرفة معممة جرت مراجعتها عدة مرات، وهي معرفة تتناول جوانب وارتباطات الواقع الهامة ويصح ذلك بالنسبة للقضايا العسكرية. وتظهر هذه الارتباطات والعلاقات ذات الطابع العام والتي هي موضع بحث بمنهج بحوث العمليات وذات التأثير المعين على تنفيذ الأعمال القتالية وعملية إعداد القوات وتطوير واستخدام العتاد والأسلحة القتالية - بأشكال متعددة: مادي ومثالي، جوهر وظاهرة، شكل ومضمون، سبب ونتيجة، كمي ونوعي، وصراع المتناقضات... الخ. وإذا ما تم فهم واستيعاب جميع هذه المقولات الفكرية وقوانين التفاعل فإنها تساعد على إيجاد الجوانب والعلاقات الملائمة في الحرب والعملية والمعركة وباختصار في كافة المراحل القتالية. وتسمح مجموعة القوانين والمقولات الميدانية العلمية المستخدمة في معرفة الشؤون العسكرية برؤية النزعات الموضوعية في قوانين تطورها وبإكتشاف المنطق الكامن في تبدلاتها، وهذا يعني الوصول إلى أساس نظري بفعل التطبيق العملي. فعند دراسة مثل هذا الشكل للأعمال التكتيكية كالمعركة على سبيل المثال يتعين الربط بين الوسائط المادية لتنفيذها بالعوامل المعنوية -

تمارس المعرفة العسكرية على الدوام من أجل الوصول لمصالح اجتماعية وطبقية معينة، لذا وفي حدود هذه الفكرة فإنها تتسم بطابع ميداني له هذا الاتجاه الحركي أو ذاك الذي يمكن إما أن يحول دون التعمق في الجوهر الحقيقي للظواهر العسكرية أو يمهد السبيل – بتسخير الموضوعية العلمية – للمعارف المكتسبة.

وللكوادر العسكرية في الدول في عصرنا هذا اهتمام بالمعرفة العلمية العميقة لجوهر قوانين وطبيعة الحروب ومبادئ تنفيذها. والميدانية العسكرية هي وعي اجتماعي عسكري عام ومعرفة عسكرية علمية. خاصة تتطلب موضوعية علمية.

وتنحصر فكرة ووظيفة المعرفة العسكرية – العلمية في أنها تعطي وعلى أساس انعكاس موضوعي للواقع تليل نظري لخوض حروب عادلة بشكل فعال في سبيل حماية الدولة من العدوان الخارجي وتخلق مفاهيم عسكرية نظرية تتفق والمواقف السياسية للدول ومستوى التقدم العلمي والتكنولوجي وتطور أساليب تنفيذ العملية والمعركة وتبحث عن طرق ناجعة لمواصلة رفع الجاهزية القتالية للقوات والأسطول وتحسين نوعية التدريب القتالي والسياسي للأفراد والقوات المسلحة.

يسمح استخدام الميدانية العسكرية كنهج للمعرفة العسكرية – العلمية بدراسة المسائل العسكرية من وجهة نظر موضوعية. وتنطلق الكوادر العسكرية في الدول في بحث أسباب وجوهر الحروب، وسيرها ونتائجها وعند دراسة أساليب وأشكال الأعمال القتالية تنطلق من تحليل الأسس العملية للتطور الاجتماعي التي تحدد في نهاية المطاف كافة جوانب الحرب والقضايا العسكرية والتي هي حاصل الحياة المادية للمجتمع وتطور قوى التسليح وعلاقات القوة.

وتوجه الميدانية المهمة بالنواحي العسكرية نحو تفهم الحقائق والعلاقات المتشابكة والتمسك بالتحليل الموضوعي للواقع والبحث عن حقيقة النظرية

العسكرية ووضع الحلول العلمية لها. وهو يرتبط ارتباطا مباشرا بالحل الموضوعي لمسألة الحرب الأساسية والإقرار بالطابع الميداني للتطور والنظرية العسكرية للصراع المسلح التي تشكل طرف الخيط عند تحليل واقع المجتمعات العسكرية.¹

إن الحريظاهرة اجتماعية تتفاعل فيها عوامل موضوعية وذاتية يضع فيها الطرفان المتصارعان أهدافا محددة وحاسمة – في غالبيتها – لا تقبل الحلول الوسط ويخوضان صراعا ضاربا للوصول إلى تحقيقها. وأن تأمين الحقيقة العلمية للمعارف الخاصة بالظواهر العسكرية يعني الكشف في هذا الصدد عن تفاعل النزعات الموضوعية للتطور وعلاقتها التبادلية والتي تكونت على أساس نشاط البشر دون أن يتوقف ذلك – في نفس الوقت – على رغباتهم وإراداتهم.² ولهذا لا بد من فهم الأصول المادية والميدانية للحياة العسكرية وتحليل دقيق للشروط الموضوعية مع أخذ العامل الذاتي في تطور العمليات القتالية المتعاقبة بعين الاعتبار.

تؤمن الموضوعية العلمية للمعارف العسكرية بالانعكاس الشامل للجوانب الموضوعية والذاتية للنشاط العسكري. وتقوم موضوعية تقدير القائد للموقف القتالي على:

- 1- الفهم العميق لطبيعة المعركة ومضمونها التفاعلي.
- 2- تحديد فعالية الأسلحة والعتاد القتالي بشكل صحيح.
- 3- تحديد الإمكانيات القتالية للوحدات.
- 4- إظهار الجوانب القوية والضعيفة في تجميع العدو.
- 5- إجراء حسابات دقيقة لنسبة القوى والوسائل.
- 6- تحديد الشروط الواقعية للقيام بالمانورة والتعاون والتأمين القتالي للوحدات.³

واستنادا للمناهج العلمية الميدانية التي توفر الموضوعية العلمية للمعرفة العسكرية تم وبنجاح حل مشاكل النظرية والتطبيق العملي مثل العلاقة بين العوامل الموضوعية والذاتية في تطور الشؤون العسكرية وتنفيذ الأعمال القتالية، والصلة المتبادلة بين الإنسان والعتاد، ومسألة القوانين الموضوعية للحرب والفن العسكري، وأساليب وأشكال تنفيذ الأعمال القتالية المعاصرة، وطرق إعداد القوات المسلحة.

العسكرية. ويوفر النهج الميداني المتسلسل واختبار المبادئ النظرية بالممارسة التطبيقية للكوادر العسكرية الثقة في صحة وحقيقة المعارف التي تم الوصول إليها والقرارات المتخذة.

والجانب الذي لا غنى عنه في النهج المادي تجاه المعرفة العسكرية – العلمية هو الثقة المثبتة بالأدلة والبراهين في إمكانية إدراك الحرب وقوانينها والاعتراف بإمكانية التوقع والتنبؤ القائم على العلم في الحقل العسكري وتأمين الحقيقة الموضوعية للمعارف العسكرية. وقد أثبتت الانتصارات العسكرية بالدليل القاطع أن العلم العسكري القائم على الأسس المنهجية للموضوعية التفاعلية والميدانية يتلاءم وبالقدر الكامل مع متطلبات روح العصر.

وفي الفلسفة العلمية ترتبط الميدانية ارتباطاً عضوياً مع التفاعلية سلاح المعرفة القوي في القضايا العسكرية المعاصرة بكل تعقيداتها وتناقضاتها وفي التطور والتبدل المستمرين. ويقدم نهج بحوث العمليات إمكانية الكشف عن المصادر والأسباب المباشرة لتطور القضايا العسكرية ومتابعة النزعات الأساسية لتبديلها، وبالتالي الوصول – على هذا الأساس- وبشكل صحيح لتحديد أفضل الطرق والاتجاهات الملائمة بالنسبة للبناء العسكري وتحسين وإنتاج الأسلحة والعتاد القتالي وتطوير أساليب وأشكال تنفيذ الأعمال القتالية.

تكمّن أهمية التوجه الميداني في حل معضلات الشؤون (العمل) العسكرية جذور التفكير الخلاق التي يستحيل بدونها تنفيذ المهام الملقة على عاتق القوات بنجاح في الشروط الراهنة. ومعنى أن تفكر بشكل خلاق هو أن تفكر بشكل تفاعلي، أي أن ترى وتأخذ بعين الاعتبار العلاقة الشاملة لظواهر الحرب والشؤون العسكرية وما تفرضه من تأثير الواحدة على الأخرى والطبقة الكامنة في تبدلاتها وتناقضها الداخلي وملاحظة كلما هو جديد في حينه والعمل بإصرار لتحويله إلى واقع حي.

المحور الثالث:

المنطلقات النظرية للمعرفة في الدراسات العسكرية.

إن تحسين طرق الإدراك العلمي على علاقة مباشرة بحالة النظرية العلمية وعمق الفهم الشامل والخاص

النظرية والعملية بشكل مبدئي صحيح في العمل العسكري والسيطرة على القوات في المعركة، والتعمق كذلك في عملية تدريب وتربية الأفراد من الناحيتين العقائدية والنفسية.³

واستنادا إلى ما سبق يمكن صياغة مجموعة من المتطلبات الأساسية لطرق العلم العسكري والمعرفة العسكرية – العلمية.

أولاً/ أن طرق العلم العسكري المعاصر والمعركة العسكرية – العلمية بمحتواهما النظري ومحصله الاستنتاج العام للممارسة البشرية في المجال العسكري يجب التعبير عنها بشكل مكثف وأن تكون في متناول المعرفة العسكرية للحقائق الموضوعية. وبتعبير آخر يجب أن ينطوي مضمون هذه الطرق على معرفة حقيقية بالأعمال القتالية المعاصرة وبشروط استخدام القوى والوسائل وبأساليب تنفيذ القوات للمهام الملقاة على عاتقها. بهذا الأسلوب فقط يمكن تأمين الصواب الموضوعي وقوة تأثير الطريقة ذاتها في نهاية الأمر.⁴ من هنا فإن أغناء النظرية العسكرية باستمرار ومتابعة بحث قوانين الأعمال القتالية لهما علاقة مباشرة وأهمية عملية كبيرة في تحسين طرق المعرفة العسكرية – العلمية. وتتحول الحقائق العلمية التي يتم الحصول عليها فيما بعد إلى أداة في تنمية المعارف.

غير أن معارفنا بالنواحي الجوهرية للأعمال العسكرية المتعاقبة هي معارف نسبية، حيث تتبدل طبقاً لتحسين وسائل الصراع وعمق التوسع في جوهر العملية والمعركة كذلك. وهذا يعني أيضاً أن طرق المعرفة العسكرية – العلمية تحمل في مضمونها من الماضي أساساً موضوعياً لم يفقد أهميته العملية حتى في الظروف المعاصرة. وفي نفس الوقت فإن كل مرحلة جديدة في تطور الفن العسكري تتطلب تحسين طرق المعرفة العسكرية – العلمية والبحث عن أساليب جديدة في حل المهام النظرية والعملية. إن تعقيد العمليات العسكرية المتعاقبة وتعميق معارفنا بها

أيضاً لقوانين العمليات والظواهر الموضوعية قيد البحث والدراسة. والنهج التفاعلي – الميداني شامل لكل العلوم وقد برز بشكل متطور وعلمي بظهور النظرية العسكرية المرنة فقط. ومنذ ذلك الحين اكتسب الفن العسكري أساساً علمياً أصيلاً وسلاحاً قوياً في بحث وتقصي ظواهر الحرب مما ساعد على رفع مستوى الأعمال العسكرية.¹ وتبرز مجموعة الطرق متكاملة في أي من العلوم الخاصة بشكل كاف عندما يكون هذا العلم نفسه قادراً على الوصول لدرجة من النضج والكمال يصبح معهما مشهوراً.

وتنطلق الطريقة دائماً من قوانين تطور الغرض المدروس بحيث تتضمن ما ينتج منها من مبادئ تنظيم النشاطات النظرية أو التطبيقية المتعلقة بفهم واستيعاب العالم. وطريقة الإدراك من حيث جوهرها هي أسلوب للتفكير يستند على استخدام المعارف العامة التي تم اختبارها بالممارسة العملية في دراسة ظواهر معينة. ومن حيث شكلها فهي مجمل المبادئ وقواعد المعرفة العامة والمكتسبة على أساس النشاط العملي والنظري للإنسانية.²

وتنطلق المعرفة العسكرية من أن ما يحدد العالم العسكري وتفاعل الموضوعية والذاتية ليس مضمون معارفنا وحسب وإنما أشكال النشاط الواعي وطرقه وأساليبه أيضاً. وهذا هو النهج الصحيح الوحيد في حل المسألة المتعلقة بجوهر ومجموعة طرق المعرفة العسكرية – العلمية وأعمال البحث العلمي ونشاط القادة.

وتؤثر في الحرب والعملية والمعركة قوانين عامة تعود للعالم العسكري بأكمله وقوانين الحياة الاجتماعية والقوانين الخاصة بالأعمال العسكرية. وطبقاً لذلك تستخدم في البحث العسكري العلمي وفي عمل القائد وضابط الأركان طرق عامة وخاصة تشكل بمجموعها مجموعة متكاملة من أساليب المعرفة يتسنى بواسطتها التعمق بجوهر الحرب والعملية والمعركة وحل المهام

أعدادها ومستواها النظري لا يتوقف فقط على الكوادر العسكرية وقدراتهم الذهنية ومواهمهم وإنما ودرجة كبيرة على الأسباب الاجتماعية. فإما أن تساعد طبيعة النظام الاجتماعي والاتجاه المحدد العام للمهام العسكرية التي يتبناها على تأمين الصحة الموضوعية لنتائج الأبحاث العسكرية وأما على العكس من ذلك تفرض قصورها الاجتماعي وتؤدي إلى تشويه الاستنتاجات فإذا كان النظام العسكري الطبيعي يؤمن الكشف التام عن إمكانيات العقيدة والمناهج العلمية فإن العلاقات الاجتماعية البالية والمناهج غير العلمية تضيقها وتقيدتها وتوجهها في غالب الأحيان نحو طريق مضللة في الأبحاث العسكرية وخصوصا في المواضيع ذات المضمون السياسي للحرب وغاياتها الحقيقية.⁶ فما هي يا ترى الطرق التي يستخدمها العلم العسكري المعاصر؟ يمكن - بقصد توخي السهولة - تصنيفها وتوحيدها في مجموعات من حيث درجة شموليتها ومحتواها.

تلعب الطريقة التفاعلية- الميدانية دورا بارزا في تحسين المعارف العسكرية لأنها تعكس قوانين تطور وإدراك كافة ظواهر الواقع العامة. وتنطلق بقية الطرق أما من خصائص عملية الوعي أو من القوانين الخاصة بالحرب التي تميز شكل ميدانها المحدد. ولهذا فإن أي طريقة خاصة يمكن أن تستخدم بشكل أكثر فعالية بالقدر الذي ترتبط فيه بالميدانية وتقوم عن أساسه فقط.⁷ وفي حدود هذه الفكرة فإن كافة طرق المعرفة العسكرية - العلمية الخاصة تخضع بشكل منطقي للطريقة الميدانية- التفاعلية حيث أنها نابعة منها ومسترشدة بها.

ويتميز العلم العسكري المعاصر بمجموعة من الخصائص إذ أن طرقه تم إعدادها فقط من خلال عملية النشاط العسكري النظري والعملي. ففيها تجد القوانين الخاصة بتطور الفن العسكري وبناء القوات المسلحة تعبيراً عنها. وتستوعب الطرق الخاصة للعلم العسكري النتائج المعقدة للخبرات العسكرية وأعمال البحث العلمي

كضرورة موضوعية يتطلب منا استخدام الطرق الموضوعية في العلم العسكري على نطاق واسع وتجديد مضمون هذه الطرق التقليدية كمشاريع القوات والأبحاث العلمية والبحث عن طرق جديدة وتصميم المعركة وتقصي العمليات... الخ. ولذلك فإن لدراسة واستخدام خبرة المعرفة العسكرية - العلمية في الماضي مع الأخذ بعين الاعتبار لكل ما هو جديد في النظرية والممارسة العسكرية في هذه الأيام - أهمية كبرى لا يستهان بها.⁵

ثانيا/ يتعين على طرق العلم العسكري والمعرفة العسكرية - العلمية أن تكون تعبيرا ليس فقط عن الصفات الجوهرية للغرض المدروس، وإنما عن خاصية عملية الإدراك ذاتها، وفي هذا تقدم طريقة المعرفة العسكرية العلمية التأثير الضروري عند مطابقتها لخصائص المعرفة الحسية والمنطقية وأخذ العلاقة بين النشاط الذهني والعملي والنواحي المطلقة والنسبية في المعارف العسكرية للحقائق الموضوعية وأصول المعرفة للأخطاء المحتملة... وما إلى ذلك بالحسبان. وهذا يعني أن طرق العلم العسكري المعاصر متعددة الأشكال قائمة على استخدام كافة العلوم الأخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس وعلى أساس نظرية المعرفة الميدانية التي تكشف عن قوانين عملية الإدراك وتفاعليتها وهذا هو الأهم.

ثالثاً/ لا يمكن لطرق العلم العسكري إلا أن تحمل في طياتها طابع تلك الأهداف والنزعات والمهام التي تضعها الكوادر العسكرية نصب عينها ومستويات إعدادها واتجاهات بحثها. ويظهر تأثير أهداف المعرفة العسكرية - العلمية على طرقها وأشكالها بصورة رئيسية في اختيار أساليب الدراسة والمادة (الظاهرة) التي تخضع للبحث وفي طرح المسائل ذات الأهمية وفي مضمون وحجم العمل المنفذ.

هذه هي الشروط الرئيسية لعلمية وفاعلية طرق معرفة العمليات العسكرية المتعاقبة. وتجدر الإشارة إلى أن

المدرّوس وكافة ارتباطاته الجوهرية بشكل عميق. وكل ما قيل ينطبق تماما على نشاط القادة، فالقرار المتخذ للمعركة هو مجموعة مركبة من مؤشرات واستنتاجات ونتائج لنشاط القائد والأركان منظمة ومنسقة وإن كانت تبدو أحيانا متناقضة.

ترتبط طرق العلم العسكري فيما بينها أيضا برابطة المرؤوسية والتبعية التي تتخذ طابعا خاصا وتجد تعبيراً عنها بشكل رئيسي في تأثير الطرق العامة على الخاصة والجزئية منها. والطريقة التفاعلية من حيث أهميتها وشيوعها تحدد النهج الملائم للطرق الخاصة. وتعتبر كل طريقة خاصة في العلم العسكري المعاصر غنية من حيث جوهرها بمضمون محدد للطريقة التفاعلية- الميدانية، إذ أنها ضمن هذه الشروط فقط قادرة على تأمين فعالية للبحث العسكري- العلمي. وتسمح الطريقة التفاعلية- الميدانية بتوفير اختيار تلك الطرق الخاصة التي لا تتعارض من حيث محتواها مع القوانين العامة للتطور، بل تتلاءم وتتطابق معها.

وقد تطورت طرق العلم العسكري المعاصر بدورها على هدي المنطق التفاعلي وأغنت مبادئه بمضمون محدد ومصدر حي هو الفن العسكري ولهذا تكتسب هذه المبادئ طابع متطلبات المنطق التطبيقي للعمل العسكري. وعلى هذا النحو فإن الطرق الخاصة للعلم العسكري لا يمكن أن تشكل ضرراً للقضايا التي يتم فصلها عن الطرق العامة ولا يمكن استخدامها بدونها أو بشكل مستقل عنها.

من هنا تأتي الميزة الهامة لطرق العلم العسكري الخاصة حيث تتسم بطابع تركيبى معمم فريد من نوعه وكأنها تجمع وتركب وتنطوي على طرق عامة وتغنيها في نفس الوقت بمادة عسكرية محددة تشكل مضمون الطرق الخاصة. وتتشابك الطرق العامة للمعرفة بالطريقة الخاصة التي تتضمن - إذا ما فهمت بشكل صحيح واستخدمت بمهارة - الميدانية كأساس منطقي داخلي لها. ويستحيل اللجوء إلى استخدام طرق خاصة دون

ونشاط القادة. ويتم تحسينها باستمرار وإغنائها بمضمون جديد. ويمكن أن ينسب إلى هذه الطرق الخاصة: مشاريع القوات التي تختلف من حيث المستوى ومن حيث طبيعة المهام التي تعالجها، ومشاريع القيادة والأركان المنفذة على الأرض، أو على الخرائط وباشتراك القوات أو بدونها، ومشاريع البحث العلمي التي يتم القيام بها بغية دراسة مسائل جديدة لفن العمليات والتكتيك ودراسة خبرات الحروب السابقة من وجهات نظر متطلبات حروب المستقبل والتجارب على الأسلحة والعتاد القتالي في مشاريع القوات أو في حقول الرمي... الخ.

وعلى هذا النحو يكون في متناول الأخصائي العسكري وفي المقام الأول القائد رصيد كبير ومؤثر من وسائل المعرفة العلمية وطرق البحث والدراسة. وأن مجموعة المعارف القريبة من العلم العسكري، تسمح له بالحصول على تقدير كامل وموضوعي لإمكانيات القوات والكشف عن النواحي القوية والضعيفة في إعدادها وتأمينها والبحث عن طرق لرفع الجاهزية القتالية للقطعات والوحدات لاحقا. وبدون شك لا يجوز استخدام هذه الطرق بشكل يفصل الواحدة عن الأخرى، واستخدامها ككل فقط يشكل نظاما موحداً يسمح بدراسة الموضوع من مختلف جوانبه ويكشف عن أبعاد كثيرة في مضمونه وجوهره. وعلى سبيل المثال ولإظهار خواص قتالية لنوع جديد من السلاح أو العتاد القتالي لا يكفي إجراء التجربة عليها ضمن شروط حقول الرمي فقط وإنما تتطلب ولعدة مرات اختباراً لفاعليتها في مشاريع القوات وفي التطبيق العملي التدريبي. علماً أن المتطلبات الواجب توفرها في البحث المنفذ بفن وضع معدلات وتوصيات تكتيكية جديدة: هي متطلبات عالية.

إن المعرفة العسكرية - العلمية لا تتطلب فقط توافقا دقيقا شاملا وتنسيقا منظما لجهود المشاركين فيها من جماعات وبعض الباحثين وإنما استخدام موجه الطرق دراسة المشاكل العسكرية غنية فهم وإدراك الغرض

تتلاءم بدرجة عالية وطبيعة المادة المدروسة وموقف وظروف البحث من بين كافة الوسائل المتوفرة. وتتجلى أبعاد صحة اختيار طرق المعرفة العسكرية – العلمية في الفهم العميق لجوهر المشكلة التي تحتاج إلى حل والمعرفة الجيدة للمادة التجريبية والنظرية وأخذ شروط وخصائص المعرفة العسكرية – العلمية من كافة جوانبها بالحسبان.

استخدام طرق عامة للمعرفة كالتحليل والتركيب والاستنتاج والاستقراء والانتقال من الأمور المجردة إلى الأمور المحددة... الخ. وتتداخل هذه الأساليب للمعرفة العلمية مع أية طريقة خاصة وتستخدم عند اللجوء إليها.

وأخيرا فإن الطرق الخاصة لبعض العلوم الأخرى المستخدمة في العلم العسكري لا تدخل – بغالبيتها – في دائرة الطرق المستقلة وإنما تستمد وجودها على أنها من هذه الطريقة الخاصة أو تلك للعلم العسكري تستخدم لوضع حل لمهام جزئية محددة.

وهكذا فإن المكانة الأولى في مجموعة الطرق العسكرية العلمية هي لطرق العلم العسكري الخاصة. ولهذا يستوجب إعدادها وتحسينها لما لها من أهمية خاصة وهذا ممكن فقط على أساس معرفة جوهر ومضمون الطريقة التفاعلية – الميدانية وكافة الطرق الأخرى المستخدمة في عملية البحث العسكري – العلمي انطلاقا من استمرار أغناء المعارف العسكرية وتحسين مهارة الكوادر العسكرية. وإلى جانب ذلك فإن تطوير الطرق الخاصة للبحث العسكري – العلمي ذات الأهمية الكبيرة للعلم العسكري لا يمكن أن يأخذ مجراه إلا على أساس تعميم المعطيات التجريبية له. وهنا تبرز الأهمية القصوى للنظرية التي تكشف عن القوانين العامة لتطور العالم الموضوعي والقوانين الخاصة بالحرب. وتتفاعل النظرية والخبرة ديباليكتيا الواحدة بالأخرى.

المحور الرابع:

نقد الأساس المنهجي للدراسات العسكرية التقليدية.

وتظهر الأزمة الميدانية – العملية للمدارس العسكرية في نظرية الحرب الغربية المعاصرة إذا أن النزعة الحالية مرهونة بالأسباب التالية:

أولاً/ تلجأ الوحدة العسكرية – الصناعية المتكاملة والروح العسكرية والتوسعية إلى استخدام النظرية

هذه هي بعض المبادئ التي تميز مجموعة طرق العلم العسكري المعاصر وتطورها. ويفهم من أن هذه الطرق مهما كانت صحيحة بحد ذاتها فإنها لا توفر حلا لمهام المعرفة العسكرية – العلمية وإنما تحتاج إلى استخدام بارع، لا يتطلب من الكوادر العسكرية مستوى عال من المعرفة وحسب وإنما فنا رفيعا أيضا. ويمكن فن استخدام طرق المعرفة العسكرية – العلمية قبل كل شيء في قدرة الباحث على اختيار وسائل المعرفة التي

يقوم ممثلو النظرية العسكرية الغربية أما بنفي ارتباط العلم العسكري مع هذه المدارس والاتجاهات الفلسفية أو تلك أو بالتغاضي عن وجود مثل هذا الارتباط أصلاً. وهناك مدارس ونظريات فلسفية بورجوازية واقعة تحت تأثير المنظرين العسكريين - خدمة لقضاياهم. وأكثر من ذلك فإن إنكار الفلسفة - بحد ذاته - على أنها أساس منهجي للعلم العسكري هو بالضبط إظهار لتأثير مذهب الإيجابية (الوضعية) - وهو ما يشكل إحدى المدارس الفلسفية الغربية الذاتية - العقائدية.³ وحسب إهداء أتباع مذهب الإيجابية فإن كل علم يضع فلسفة خاصة به نظراً - كما يزعمون - لعدم وجود القوانين الموضوعية العامة لكافة ظواهر وعمليات الطبيعة المتعاقبة والحياة الاجتماعية والتفكير.

إن الظهور العادي لمذهب الإيجابية في النظرية العسكرية الغربية (ليدل هارت، تيبيلسكيخ، بريدي وغيرهم) غدا وكأن النظرية العسكرية لا تعتمد على أي ميدان من ميادين المعرفة وهي "الفلسفة العسكرية" وغالبا ما يفهمون ذلك من خلال المذهب أو العقيدة العسكرية التي نادى بها كلاوزفيتز والتي ينظر إليها العديد من المنظرين العسكريين الغربيين على أنها نموذج كلاسيكي لكافة الظروف التاريخية.⁴

وكثيرا ما يعترف الفلاسفة الغربيون أنفسهم بانعدام النهج العلمي في الفلسفة الغربية عند دراسة العالم الموضوعي والتفكير. وقد أصدر أحد هؤلاء البارزين في العصر الحديث وهو "لويس فاير" حكما على "الفلسفة الأميركية بأنها جامدة" في مقالة تحمل نفس التسمية ومما جاء فيها عن الوظيفة المنهجية للفلسفة الأميركية قوله "بأنها تعتبر - من حيث الجوهر - تعليم فن السفستائية لتقاليد القرون الوسطى". وقد أكدت صحيفة واسعة الانتشار تصدر في ألمانيا الغربية وهي "دي فيلت" هذا التشخيص الذي يبعث على الكآبة حيث تقول "لقد نعى العالم الأميركي "لويس فاير" موت الفلسفة الأميركية التي أجهز عليها علم الألفاظ وعلم اللغة والخدلة السفستائية". وهذا ما ينطبق على

العسكرية لتبرير السياسة العسكرية الديناميكية المغامرة والموجهة نحو القضاء على النظام الاجتماعي الشاغر بالوسائل العسكرية وكبت كافة القوى الثورية والمناهضة في العصر الحديث.

ثانياً/ إن النظرية العسكرية مطالبة بتمهيد السبيل لإدخال تعاليم عن الحرب والجيش متناقضة مع العلم وضد مصالح الشعوب في وعي جماهير الأقطار الغربية.

ثالثاً/ لا يمكن الفصل بين النظرية العسكرية التوسعية والاتجاهات الديناميكية المتطرفة لعلم الاجتماع والفلسفة الغربيين لارتباطهما الوثيق.¹

وإلى جانب ذلك تتطلب التوسعية والانتشار من النظرية العسكرية إيجاد مبادئ معللة علمياً لبناء القوات المسلحة وأساليب وأشكال لتنفيذ الصراع المسلح، وبهذا تسند المناهج النظرية العسكرية الغربية التقليدية مهام متناقضة بشكل مباشر. ففي من جهة مطالبة بتأمين أعداد مفاهيم فلسفية واجتماعية ونظريات ومبادئ تساعد على تسليح العاملين في الحقل العسكري النظري والعملي بفهم صحيح وأساليب فعالة لحل المعضلات النظرية والعملية في القضايا العسكرية ولخلق تفوق على العدو المحتمل في زمن السلم وتحقيق النصر في زمن الحرب. ومن جهة ثانية فإن مناهج النظرية العسكرية التقليدية مدعوة إلى تحريف الواقع التاريخي الموضوعي من أساسه، وبالتالي وقبل كل شيء نفي قوانين وسنة التطور الاجتماعي وتزييف تاريخ الحروب بين المعتدين التوسعيين والدولة موضوع الحملة العسكرية وإثبات إمكانية النصر العسكري للرأسمالية المحكوم عليها بالفشل الميداني في الأخير... الخ.

وقد سقطت النظرية العسكرية التقليدية ومناهجها أيضاً في محاولة لإنباتها لا يمكن إثباته والجمع بين التحريف المقصود للواقع مع النهج الصحيح لإدراكه ووضعت أساساً لتناقض لا يفتقر.²

الظواهر والعمليات المتعاقبة عن الظروف التاريخية المحددة ويحاولون أن ينسبوا للمجتمعات المتخلفة وجيوشها تلك التناقضات الاجتماعية والقومية المتصارعة والتي هي وقف على المجتمع الرأسمالي والجيوش الإستعمارية والأحلاف العسكرية – السياسية العدوانية التي لا يمكن أن تكون في ظروف تتفوق فيها على شروط الحسم العسكري للميزة المنهجية الواسعة الانتشار التي تتجلى في الذاتية منطلقا فكريا وعمليا في النظرية العسكرية الغربية.

تظهر الطبيعة الذاتية لهذه المناهج بوضوح ملموس في التعاليم الفلسفية الاجتماعية الغربية وحل أسباب نشوب الحروب ومصادر وعوامل القوة العسكرية ومبادئ البناء العسكري وتنفيذ الأعمال القتالية.

لقد أثبتت الممارسة العسكرية المقاومة في السنوات الأخيرة بما لا يدع الشك أن التوسعية لا تتوانى عن اللجوء إلى أكثر الأعمال الشوفينية في ميادين السياسة والإيديولوجية وتطرح جانبا كل مظاهر الديمقراطية الغربية كلما تعرض رأس المال الاحتكاري للخطر. فالنظرية العسكرية الغربية لا تستطيع أن تدرك ولا تود الاعتراف بتلك القوانين الموضوعية للحياة والقضايا العسكرية المعاصرة التي تتعارض ومصالح الرأسمالية المحتكرة.

حافظ معظم المنظرين العسكريين الغربيين على مواقف متحفظة تجاه علم الاجتماع العقائدي الذاتي الذي عزا الدور الحاسم في الحرب لرؤساء الحكومات والدول والقادة العسكريين وذلك في تصورهم وتأويلهم لسير ومصير الحرب العالمية الثانية. ففي تقييمهم لأسباب الهزيمة التي لحقت بالفاشية يلقون باللائمة على "هتلر" (كما يدعون) الذي أقصى قادة عسكريين بارعين وذوي خبرة وقاد الدولة الفاشية للهزيمة العسكرية. وهذه ليست وجهات نظر الجنرالات الهتلريين السابقين الذين يبرعون للإنتقام وإنما وجهات نظر

الفلسفة الغربية المعاصرة ككل من حيث دقة التقييم وتام التعليل. من هنا كانت النظرية العسكرية للقوى الكبرى الغربية معزولة عن الفلسفة نتيجة ظهور مذهب الارتباب والشك والسفسطائية ومذهب اللاإرادية العفوية فيها. إلى جانب هذا فإن الفلسفة وعلم الاجتماع الغربيين بحد ذاتهما يسليحان المنظرين العسكريين بعقيدة ومناهج محددة تنقل للنظرية العسكرية ما تتميز به الفلسفة الغربية المعاصرة من مثالية وأمور مخالفة للصواب لا عقلانية وميتافيزيقية (فلسفة ما وراء الطبيعة) وانتقائية وسفسطائية. وتشهد حقائق كثيرة على ارتباط النظرية العسكرية التقليدية برباط وثيق مع الفلسفة الغربية.

ويظهر ارتباط النظرية العسكرية الغربية بالفلسفة بشكل راسخ في مضمون كتب ومقالات المنظرين العسكريين للتوسعيين وأكثر السمات المميزة للمضمون الفلسفي هو الموضوعية والذاتية الغريبتين والانتقائية أيضا (الانتقائي هو من لا يتبع نظاما واحدا في الفلسفة، بل ينتقي كل ما يعتبره الأفضل في جميع الأنظمة). والسمة الأخيرة عبارة عن خلط المثالية بالمادية العفوية والميتافيزيقية وعناصر الديالكتيك غير المنطقية ومذهب الإرادية (الطوعية) والاعتراف الجزئي بالقوانين الموضوعية في العمليات المتعاقبة للحرب المعاصرة وعلم الاجتماع الذاتي والمادية المتبدلة. ومثل هذا الخلط بين المفاهيم والاتجاهات الفلسفية المختلفة والمتناقضة أحيانا يعكس في نهاية المطاف التناقض بين السعي لاستقصاء القوانين الموضوعية للحرب والمطلب الاجتماعي للتوسعيين وتحريف هذا الواقع لتبرير وتركية الحروب العدوانية غير العادلة وإثبات شرعية تصعيد العدوان والأعمال المتطرفة.

وبشكل موضوعي ليس فقط الظواهر والعمليات المتعاقبة الضرورية بل والعرضية منها أيضا كظواهر حتمية في الظروف التاريخية الراهنة ومستحيلة في ظروف جديدة. وفي عصرنا الحاضر – على سبيل المثال – يفصل الموضوعيون الغربيون بشكل ميتافيزيقي

أفراد القوات المسلحة في معظم الجيوش الغربية. وتشهد هزيمة أقوى جيش توسعي في فيتنام مرة أخرى على عدم كفاءة النظرية العسكرية الأميركية ومناهجها. وتجري في الولايات المتحدة الأمريكية محاولات لإيجاد أساس منهجي للنظرية العسكرية أكثر مرونة وهي مرونة لا تظهر في تفهم انعكاس الواقع ولكن في اللجوء وعلى نطاق واسع للمغالطات والسفسطائية وإخفاء الجوهر المعادي للشعوب من جانب التوسعية العدوانية والروح العسكرية والنظرية العسكرية ذاتها. ومن موقف على شاكلة "تحسين" المناهج أعدت مفاهيم إستراتيجية مثل "الإستجابة المرنة" و"الترويج الحقيقي" و"الحرب النووية المحدودة" و "حماية العالم من موقع القوة"... الخ. واستخدمت في الوثائق الرسمية للإدارة العسكرية الأمريكية - التي تمتبئها بعد الهزيمة في فيتنام - على نطاق واسع محاولات تقدم الآلة العسكرية الأمريكية على أنها "الكفيلة بحفظ النظام" و"دعم السلطة الشرعية"... إلى غير ذلك وسواه. بهذه الدرجة يتم تمجيد المعتدين الأمريكيين ومديحهم من قبل الإدارة العسكرية بعد الفضائح البشعة لقواتهم في فيتنام حيث تعرض أكثر من مليونين من السكان الأمنيين للحرق بالنابالم والتشويه والعذاب والقتل. وعلى هذا النحو يتحول علم الاجتماع المزيف للتوسعية الغربية كلية من حيث الجوهر ليصبح منطلقاً منهجياً لأنظمة القتال الرسمية وأعمال كثير من المنظرين العسكريين.

وبالمناسبة يتم الحديث كثيراً في كتب ومقالات المنظرين العسكريين من موقف براغماتي (ذرائعي) عن الوظيفة الحقيقية للجيوش التوسعية. وقد كتب أحد البارزين من المنظرين العسكريين الأمريكيين هوجس. س. تومبكينس بصراحة في كتاب "أسلحة الحرب العالمية الثالثة" ما يلي: "لتكن الأنظمة التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية مستبدة أحياناً، لكننا على الأقل في وضع يمكننا من التأثير عليها".

والى جانب ذلك ينطلق المنظرون العسكريون الغربيون عند بحث الجوانب العسكرية - التقنية للشؤون التي

العديد من المنظرين العسكريين في الولايات المتحدة وبريطانيا.

وتسخر النظرية العسكرية هذه خدمة لأغراض التعصب الغربي العديد من "الأبحاث" المطالبة بتأمين امتثال أفراد الجيوش التوسعية الرأسمالية وقياداتها العسكرية والوقوف في وجه نمو تأثير العقائد العسكرية المضادة وأفكارها على الجنود والضباط.

وتظهر الصفات المميزة الأخرى لمناهج المنظرين العسكريين الغربيين في تجاهلهم للخبرات التاريخية وعدم إدراك القوانين الموضوعية لتفاقم التناقضات الاجتماعية في الأقطار الغربية وقواتها المسلحة في العصر الحديث. غير أن النظرية العسكرية الغربية لم تكتشف هذه الميزة للحروب الإستعمارية التوسعية إلا في الفترة التي حققت فيها البروليتاريا الثورية عامي (1917م- 1918م) في روسيا وألمانيا وبلغاريا وهنغاريا وغيرها النصر أو جعلت من المستحيل الاستمرار في الحرب العالمية الأولى وبدأت أعداد كبيرة من الجنود والبحارة في هذه الدول بإلقاء اللوم على الحكومات والجنرالات والضباط التوسعيين والانتقال إلى صف الشعب الثوري. وشاركت الغالبية الساحقة من أفراد الجيوش الغربية السابقة في بلغاريا وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وفرنسا وإيطاليا واليونان وفي أقطار أخرى في معارك ضد الفاشية خلال الحرب العالمية الثانية بشكل فعال. وفي الفترة التي أعقبت الحرب انطلق معظم الجنود والضباط في بعض الجيوش لقلب الأنظمة الفاشية والسير للانتقال بأفطارهم على طريق الديمقراطية كما حصل في البرتغال واليونان والتصدي لمحاولات العصيان الفاشي (في الجيش الفرنسي عام 1961م) والقيام بتبدلات اجتماعية جذرية لصالح الجماهير الكادحة (في البيرو والعراق وسوريا وبورما وفي غيرها من الأقطار).

على هذا النحو بدت النظرية العسكرية التقليدية ومناهجها غير قادرة على حل مسألة الحفاظ على ولاء

السياسي. وبما أن البشر تستخدم السلاح والعتاد القتالي لأغراض سياسية فإنه لا يمكن أن يكون هناك حل علمي متسلسل لمعضلات الشؤون العسكرية عند حل المعضلات الاجتماعية – السياسية بمعارف منهجية غير علمية ولا تؤثر على مناهج بحث المعضلات السياسية – التقنية نظرية المعرفة غير العلمية وحسب وإنما أيضا الموقف السياسي للمدافعين عن الرأسمالية التوسعية المحكوم عليها بالفناء والحقد على القوى المناهضة وقوى المقاومة وكذلك سيادة وحدة الدولة الوطنية والرشوة المباشرة من جانب المؤسسات العسكرية والصناعات الحربية هذه أو تلك.

من هنا تتوضح المنطلقات والأسباب الاجتماعية لتشويه الواقع عن قصد من قبل المنظرين العسكريين للتوسعية الغربية. فزيادة الانحلال وتفسخ القيم الأخلاقية على كافة مستويات المؤسسات العسكرية بما فيها المنظرين هو قانون المرحلة الراهنة في تعميق الأزمة العامة للتوسعية العدوانية. لقد كتب الرئيس السابق للجنة رؤساء أركان جيوش الولايات المتحدة الأمريكية الجنرال م. تايلور في كتابه "الإستراتيجية التي لا يعتمد عليها" بأن "... كافة البرامج العسكرية تبدو وكأنها متشابهة من حيث الجوهر وتتنافس فيما بينها من أجل الحصول على كمية محددة من الدولارات..."⁵

إن وجود الكثير من المنطلقات المنهجية غير العلمية أمر لا مفر منه عندما تكون الأبحاث عرضة لتحريم أتباع المنهج العلمي المتسلسل. وترتبط التناقضات المختلفة وبصورة رئيسية أساليب النهج غير العلمية في حل معضلات العمل العسكري بعدم استقرار وتبدل المفاهيم العسكرية – الإستراتيجية التي لا تتصف بالكفاءة لدول التوسع العدواني وتبنيها مبادئ في الفن والبناء العسكري لا تتصف بالموضوعية، مما ينشأ عنها وبشكل حتمي تناقض مباشر في سلوك المنظرين وقادة مختلف أنواع القوات المسلحة في حل المعضلات المتعلقة بدورهم ومكانهم والتعاون فيما بينهم والمشكلات التي تستعصي على الحل بالنسبة للأحلاف

تتعلق بميادين عملهم من مبادئ منهجية أخرى، حيث تبرز عند ذلك متطلبات إدراك الصفات والإمكانات الأصبيلة للأسلحة والعتاد القتالي ووسائل الوقاية... الخ. وغالبا ما يطلق الباحثون في هذا الجانب من العمل العسكري على أنفسهم اسم "الواقعيون".

وفي واقع الحال فإن الأخصائي في ميادين المدفعية ينظر بشكل موضوعي للمواد المتوفرة لديه والتي يتم منها صنع الأسلحة، وتطبيق هذه النظرة من جانبه على قوانين الكيمياء والدفع... الخ ويحل مسألة النظرية والعملية من مواقف منهجية الميدانية والتفاعلية العفويتين دون أن يشغل فكره بالتعاريف الفلسفية.

في هذا الصدد يتوصل الباحثون العسكريون أحيانا إلى نتائج باهرة في تحسين وتصميم أسلحة جديدة نوعيا وعتاد قتالي ووسائل وطرق للسيطرة على القوات ووسائل للوقاية في تطويرهم للفن العسكري.

غير أن الميدانية والتفاعلية العفويتين لا يمكن أن تكونا أساسا منهجيا للنهج العلمي المتسلسل في حل معضلات الشؤون العسكرية فإن الميدانية العفوية غير المتسلسلة في شرح العمليات التقنية والطبيعية لا تنسجم مع "المثالية بأعلى صورها"، أي مع التفسير المثالي للمصادر والقوى المحركة لسلوك الناس وحياة المجتمع وجوهر الإنسان ومعدنه. ويلجأ المنظر للقوات المدرعة أو قائد تشكيل مدرع عادة من مواقف المادية العفوية والتفاعلية غير المتسلسلة في حل مسائل استخدام الدبابات والطيران والمدفعية في المعركة والملمحة دون الاعتراف بالقوانين الموضوعية للصراع المسلح ويؤكد استنادا لمبادئ علم الاجتماع المثالي بأن سلوك جموع الجنود في المعركة والحياة الاجتماعية يتحدد "بالحتمية الطوعية النفسية" التي لا يجوز عدم إدراكها أو تفسيرها.

وهكذا فإن فهم وحل المعضلات العسكرية ذات الطابع الفني طبقا للواقع الموضوعي يقترن بشكل انتقائي مع الفهم غير العلمي للمعضلات ذات الطابع الاجتماعي –

العسكرية الغربية تتمثل في عدم القدرة للوصول إلى وجهات نظر موحدة بين الحلفاء تجاه مسائل الحرب والبناء والعقيدة العسكرية وتنفيذ الأعمال القتالية. وهذه الطبيعة غير العلمية للأسس المنهجية للنظرية العسكرية الغربية لا تجعل منها أقل خطراً على القوى المحبة للسلام، إذ أن منظرها العسكريين لا يعدون الخطط المغامرة للتحضير لحروب محلية وإشغالها فقط، وإنما يرون بتعليقاتهم حتمية الصراع النووي، ويقوم كثير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع الغربيين بتقديم الوعود الوهمية بانتصار التوسعية الرأسمالية العدوانية في هذه الحرب وتصعيد الأخطار بنشوب حرب عالمية ثالثة.

إلى جانب ذلك فإن التحليل العلمي للمناهج والدراسة المتسلسلة لمضمون طرق ونتائج الأبحاث العسكرية – العلمية للعدو والمحتمل هي ضرورة لتقييم جوانبه القوية والضعيفة بشكل صحيح وتحديد الأساليب المتوقعة لتنفيذ الأعمال القتالية في حال العدوان ضد الدولة وأقطار الجوار الحدودي الأخرى. والمناهج الغربية للنظرية العسكرية ككل بطابعها غير العلمي قادرة من خلال عدد من الأبحاث على حل بعض المعضلات مع الأخذ بعين الاعتبار لظروف ومتطلبات الواقع الموضوعي.

المحور الخامس:

الإتجاهات الرئيسية للمضمون العلمي في الدراسات
العسكرية.

تخضع المعرفة العسكرية – العلمية كغيرها من المعارف الخاصة بميادين الواقع الموضوعي – لقوانين عملية الإدراك العامة، وتتصف في نفس الوقت بميزات تفرضها طبيعة الغرض الذي تناوله بالدراسة وخصائص انعكاسه في المعارف العسكرية – العلمية.

ويتم تقدير الموقف دائما بشكل هادف من وجهة نظر المهام القتالية المسندة والتي يسعى القائد طبقا لها نحو كشف تلك العناصر والخصائص التي تساعد وبأكبر قدر ممكن على تحقيق الأهداف (أو إعاقتها) وإظهار ظروف وطبيعة القوى والوسائط المستخدمة في المعركة.

وتتميز ذاتية الإدراك وبالتالي ذاتية المعارف المكتسبة في أنه يمكن للإنسان تشكيل صور لا تعكس الواقع الحالي فحسب وإنما الواقع بصورة المستقبلية أيضا وب نماذج أصلية وحقيقية. وتتشكل صورة الواقع المستقبلي بمراحلها النهائية على أساس انعكاس وتحول الظروف والقرائن المتوفرة والنزعات الواعية والقوانين بما يتلاءم والأجواء التي تتبدل فيها.

وتعكس نظرية الحرب الصاروخية - النووية ونظرية العملية والمعركة مع استخدام وسائط الصراع الجديدة بشكل كمي طبيعة الأعمال القتالية للحرب المحتملة. على الرغم من توفر الأسلحة الصاروخية - النووية بقوتها التدميرية الهائلة لدى هذه الجيوش إلا أن لم تجر حتى الآن مثل هذه العمليات ولم تستخدم فيها مثل هذه الوسائط. أن معرفة القوانين الموضوعية للعمليات والخصائص القتالية للأسلحة المتوفرة والاعتماد على خبرات المشاريع المنفذة وخبرات الحروب السابقة تجعل الكوادر العسكرية في حالة تمكها من تخيل صورة العمليات المحتملة وجوهرها وأساليب الإعداد والتنفيذ للأعمال القتالية.

وما تقدير الموقف العملي اتخاذا القيادة القرار لتخطيط وتنفيذ العملية أثناء سير الأعمال العسكرية إلا تكوين لصورة وطبيعة العملية المقبلة التي لم تحدث بعد. وتصور مضمون العملية القادمة ممكن بالاعتماد على التنبؤ والتوقع وعمق معرفة أسس فن العمليات والعوامل التي تحدد أبعادها وطبيعة تعاون وتأمين أعمال القوات. وتكون درجة تطابق وملائمة العملية التي تم التنبؤ بها مع الشروط الحقيقية للحرب أعلى كلما كانت مهارة القيادة وضباط الأركان أفضل.

والمعرفة العسكرية - العلمية هي انعكاس لظواهر الحرب وشروط وأساليب إعداد البلاد والقوات المسلحة لها في وعي وإدراك الإنسان¹. والمعارف العسكرية كنتيجة للإدراك العسكري - العلمي صورة لنوع محدد للواقع الموضوعي. وعلى سبيل المثال توجد خارج وعي وإدراك الإنسان ظواهر اجتماعية كالقوات المسلحة أو غيرها من المظاهر العسكرية المحددة التي تنعكس في ذهنه على شكل صور فكرية معينة. وطبقا للصورة المعكوسة في الواقع تتحدد درجة موضوعية محتواها وحقيقتها. وعلى هذا فإن نظرية المعركة الهجومية كصورة من هذه الصور تبعث وتسترجع في الذاكرة أكثر الدلائل والمؤشرات العامة والمميزة لسمات المعركة الحقيقية، وقوانينها ووجودها الموضوعي في الواقع. ومعرفة الموقف هي صورة ونسخة للظروف الحقيقية للمعركة والمتشكلة خلال تنفيذ الأعمال القتالية. وتكون رؤيا صور الواقع الموضوعي ومنها المعارف العسكرية موجودة في الوعي على شكل انعكاس مثالي لهذا الواقع. لذا تكون هذه الصور - في حدود هذه الفكرة - ذاتية. ويكون لمطابقة الصورة التي ينعكس فيها الواقع الموضوعي طابع نسبي من حيث الكمال والدقة والتشابه ويمكن لهذه المطابقة أن تكون ذات درجات متفاوتة. فمعرفة الموقف القتالي بشكل عملي لا يمكن أن تعكس أحيانا في مضمونها العدد الاجمالي لعناصره المترابطة فيما بينها إذ أن الموقف الحقيقي في المعركة هو دائما أكثر غنى وكما لا بمضمونه من المعلومات التي تقدم عنه. وهذا يتعلق بشكل خاص بمعرفة العدو الذي يسعى دائما إلى إخفاء وتمويه أعماله وإظهار الكاذبة منها على أنها حقيقية، مما يفرض على القائد تحليل الموقف بعمق ودقة ومعرفة تكتيكية ليتسنى له بعد ذلك وعلى ضوء ما يتوفر له أحيانا من معلومات محدودة الكشف عن فكرة أعماله الحقيقية وإظهار حالة القدرة القتالية لوحدها².

تؤثر نزعات واتجاهات الأعمال المقبلة للوحدات تأثيرا كبيرا على إدراك الموقف ومضمون المعارف المتعلقة به.

خلالها أثناء تطوير النظرية – العسكرية كل ما هو جديد من ارتباطات وعلاقات. ولا يمكن لأية نظرية عسكرية أن تدعي لنفسها الشمول والإحاطة بكل شيء بشكل كاف، إذ تتوفر دائما إمكانية تدقيق واستكمال وتحديد نوعية وتطوير هذا المبدأ أو ذلك ولا تشذ عن هذه القاعدة نظرية المعركة في حرب صاروخية – نووية لأن إدخال التعديلات على القاعدة التقنية للأعمال القتالية بصورة مستمرة يفرض ظهور معضلات جديدة تتطلب الحل.

وفي عصرنا الحاضر – عصر التقدم العلمي – التقني – حيث يتم تطوير الأسلحة والعتاد القتالي وتجديد وسائل السيطرة على القوات وتأمينها بشكل مكثف فإن معرفة ما تنطوي عليه الحرب والبنية التنظيمية للقوات المسلحة وأساليب تنفيذ الأعمال القتالية هي ضرورة ملحة تتطلب التحسين والتعمق لمسيرة هذا التطور واللاحق به. وينطبق هذا على المعركة، فطبيعة المناورة للأعمال العسكرية وتبدل الموقف بشكل مفاجئ يفرض على القائد التخلي عن المعلومات التي فات أوانها وبطل مفعولها ويتطلب تنظيما وتدقيقا مستمرا للمعلومات التي يتلقاها عن العدو والوحدات الصديقة.

وتتحقق المعرفة العسكرية – العلمية استنادا للممارسة العملية وعلى ضوء تحسينها. فالنشاط العملي والنشاط المدرك الواعي يرتبطان بشكل وثيق ولا غنى للواحد عن الآخر. حيث لا يمكن أن تكون هناك معرفة – عسكرية علمية خارج إطار الممارسة العملية، كما أن عدم توفر المعارف الملائمة يجعل من النشاط العسكري العملي مستحيلا.

وتنحصر الوظيفة الأساسية للمعرفة العسكرية – النظرية في التعليل العلمي العميق والشامل لاتجاهات ومضمون البناء العسكري وأساليب تنفيذ الحرب وطرق رفع الجاهزية العسكرية للقطاعات والوحدات. ويتم تقدير الموقف خلال تنفيذ الأعمال القتالية وشروط تحقيق المناورة بالقوات في العملية والمعركة – بغية

وتشكل دراسة الخصائص المميزة لذاتية المعرفة وذاتية الصورة التي يتم الحصول عليها أثناء عملية النشاط الواعي والمدرك والتي يمكن للإنسان أن يسبق بها الواقع استنادا للمعارف المتوفرة لديه – تشكل أساس الإبداع والتنبؤ. وإذا لم يكن إدراكنا قادرا على سبق الواقع فإنه يستحيل علينا أن نحوله إلى ما يتناسب مع متطلباتنا وغاياتنا.

وفضلا عن ذلك تشكل ذاتية الصورة التي يتم الحصول عليها في عملية الوعي والإدراك سببا ممكنا لتشويه انعكاس الواقع ذاته من جانب واحد، فالمعرفة المغلوطة وغير الصحيحة إن لم تكن تليقا مقصودا هي أيضا انعكاس وصورة ذاتية للواقع الموضوعي، غير أن مضمونها في هذه الحالة ينطوي على مغالاة ومبالغة ويتسم بصفة المطلق، أو العكس من ذلك حيث ينطوي على تصغير جانب ما من جوانب الواقع والإقلال من شأنه. وعلى هذا فإن التضخيم من أهمية وخطورة الأسلحة الصاروخية – النووية في العملية والمعركة يمكن أن يؤدي إلى الاستخفاف بدور وسائل التدمير التقليدية وبالتالي إلى تكوين نظرية للعملية والمعركة ضيقة ومحدودة. وأكثر الأخطاء العادية في تحليل الموقف القتالي هي تشخيص قوى وإمكانيات العدو بشكل محرف ومشوه فتؤثر الذاتية في هذه المسألة – وكما أثبتت تجارب الحروب – تأثيرا مهلكا على نتائج المعركة.³

والمعرفة العسكرية – العلمية هي عملية ديناميكية مستمرة لتطور وعي وإدراك المسائل المتعلقة بالحرب وشروط وأساليب إعداد البلاد والقوات المسلحة لها. وتحدد الطريقة الديناميكية والإستمرارية لهذه العملية بجوانب وصلات متعددة الأشكال لمظاهر الحرب وتجديد الأسلحة والعتاد العسكري وتحسين المهارات القتالية للقوات وتبدلات الموقف الاجتماعي – السياسي. وتمثل الحرب وأشكال وأساليب الأعمال القتالية أكثر الأغراض المتعددة الجوانب للمعرفة والتي تكتشف من

ويمكن استنادا لتصنيف المعارف العسكرية أن نبرز اتجاهين رئيسيين للإدراك العسكري - العلمي هما الإدراك العسكري النظري بما ذلك البحث العسكري - العلمي والإدراك العسكري العملي.

يوجه البحث العسكري - العلمي مباشرة نحو الكشف عن كل ما هو جديد في الظواهر المدروسة وتحديد خصائصه ونزعاته التي لم تجد انعكاسا لها بعد في النظرية والتطبيق العملي العسكريين. وتنحصر الوظيفة الرئيسية للبحث العسكري - العلمي فيما يلي: الكشف عن قوانين الحرب والعمليات والمعرفة ومختلف أنواع الأعمال العسكرية وبالتالي - استنادا إلى ذلك تحديد طبيعتها المحتملة وأساليب تنفيذها واتجاه أعداد القوات المسلحة وطرق تدريب وتربية الأفراد. ونتيجة للمعارف التي يتم الحصول عليها في البحث العسكري - العلمي يتم التمييز بين معارف تجريبية ومعارف نظرية انطلاقا من مستوى انعكاس العمليات العسكرية الموضوعية فيها بدرجة نسبية معلومة.

وإذا ما تسنى للمستوى التجريبي للمعارف أن يعكس بعض الظواهر والروابط والعلاقات القائمة فيما بينها والمكتسبة بشكل واضح وملموس عندئذ يمكن أن تظهر في المعارف النظرية ماهية العمليات العسكرية والقوانين الكامنة في صلحها والاتجاهات الرئيسية في تطور بعض مبادئ القضايا العسكرية... الخ. واستنادا إلى مثل هذه الطبيعة التي تنطوي عليها النظرية العسكرية تقسم مستويات معارف البحث العسكري - العلمي إلى تجريبية ونظرية.

وللأبحاث العسكرية - العلمية التجريبية وظيفتها الخاصة بها والهادفة نحو تجميع مواد حقيقية جديدة وتفسيرها وتعميمها في إطار النظرية العسكرية المتداولة. وتحمل الأبحاث التجريبية مكانة هامة في النشاط العسكري - العلمي في الوقت الحاضر نظرا لتطور القضايا العسكرية بسرعة⁴ وكلما كانت الممارسة العملية أغنى ومتنوعة وذات تجارب واسعة كلما كان

تحديد أكثر الأساليب فعالية في تنفيذ المهام العملية المسندة. ومن أهداف الممارسة العملية العسكرية أيضا تحديد اتجاهات نشاط البحث العلمي والطريقة المنطقية لتفكير القائد أثناء السيطرة على القوات في المعركة.

كما توفر الممارسة العسكرية بأشكالها المتعددة وغير المتكررة من حيث ظهورها مادة تجريبية غنية لتطوير النظرية العسكرية وهو ما يشكل قاعدة وأساسا لها. وأن التقييم الموضوعي لطبيعة البناء العسكري والسياسة العسكرية - التقنية والشروط المحددة للمعركة ممكن فقط في تلك الحالة التي يعتمد فيها الباحث العسكري والقائد على المعرفة النظرية لماهية الحرب والطبيعة وقوانين الأعمال القتالية والخبرات العملية التي تجمعت لدى القوات، وفي حال مراعاة التسلسل المنطقي في التفكير ومبادئ التحليل العلمي القائمة على خبرات حروب قرون عديدة. وتعتبر الممارسة العسكرية المعيار الذي يحدد حقيقة كافة أنواع المعرفة العسكرية - العلمية.

تنقسم المعارف العسكرية من حيث طبيعتها ومضمونها ووظيفتها المباشرة إلى معارف نظرية وأخرى عملية لأعمال عسكرية محددة يتم استنادا لها اتخاذ قرارات فعلية في العملية والمعرفة والقيام بإجراءات تتعلق بتأمينها.

وترتبط أنواع المعارف العسكرية المشار إليها بشكل وثيق فيما بينها، إذ يستحيل من غير المعارف العسكرية - النظرية وبدون إخضاع العمليات العسكرية للتفكير العلمي في الظروف الراهنة الحصول على معارف موضوعية حقيقية ومعارف عسكرية - نظرية محددة. وفي نفس الوقت فإن عملية التطور نفسها وتحسين النظرية العسكرية تتمان على أساس المعارف المكتسبة من خلال الوعي والإدراك العمليين والخبرات القتالية للقوات.

وينطوي المضمون المحدد للمعرفة العسكرية – العلمية خلال الأعمال القتالية على أربعة عناصر تتمثل في:

- 1- تفهم المهمة.
- 2- تقدير الموقف.
- 3- اتخاذ القائد للقرار.
- 4- وإسناد المهام.

وتختلف كافة هذه العناصر على الرغم من وحدتها المنطقية الموجهة إلى غرض معين من حيث المضمون وتسلسل دراسة المسائل الرئيسية وطريقة عمل القائد والأركان.

ويبدأ النشاط الواعي والمدرك للقائد من تفهم المهمة الذي يهدف إلى معرفة فكرة القائد الأعلى بشكل صحيح ومحتوى المهمة القتالية التي تلقاها ودور ومكان وحدته (قطعتة) في المعركة وطبيعة أعمال الجوار في المعركة المقبلة وتوفر الوسائط في الوحدة (القطعة) وإظهار طرق وأساليب وصول الوحدة (القطعة) لهدف المعركة المسند إليها. أن تقدير الموقف ومضمون والقرار المتخذ يتوقفان إلى حد كبير على درجة الدقة في طبيعة تفهم المهمة المستلمة.

وينحصر جوهر تقدير الموقف القتالي في التعرف على الشروط الموضوعية للمعركة القادمة وهل هي ملائمة أم على العكس تؤثر بشكل سلبي على تنفيذ المهمة المسندة.

تشمل عناصر تقدير الموقف بالنسبة للقائد على: العدو الذي يواجهه وقواته والحوار والأرض التي ستندشب عليها الأعمال القتالية المقبلة وعامل الزمن المتوفر والشروط الجوية. فضلا عن ذلك يراعي في العملية أخذ الاتجاه العملياتي بعين الاعتبار والحالة الاقتصادية لمنطقة الأعمال القتالية المقبلة وتوفر الأغراض ذات الأهمية العملياتيّة والميزات الاجتماعية والسياسية للسكان. ويجب التركيز عند تقدير الموقف التكتيكي والعملياتي في كل مرة على الفقرات الهامة التي تؤثر

العلم العسكري أسرع في تجميع وتوفير الحقائق الضرورية التي تشكل أساسا لتحسين وتطوير النظرية العسكرية.

وتشكل الأبحاث العسكرية – العلمية النظرية الموجهة نحو كشف الجوهر العميق للظواهر العسكرية والقوانين والشرائع الموضوعية للحرب وأشكال ظهورها وميكانيكية تنفيذها الميادين الرئيسية للتجارب. وتشمل الأبحاث النظرية أيضا تحديد الاتجاهات الجديدة المبدئية في تطوير النظرية والممارسة العسكريتين وتعليلهما بشكل علمي وإيجاد أشكال وأساليب إستراتيجية وعملياتية وتكتيكية أكثر فاعلية وتحسين طرق السيطرة على القوات وتأهيلها من الناحيتين القتالية والسياسية.

تستخدم نتائج الأبحاث العسكرية النظرية كقاعدة لإعداد وثائق وأنظمة يسترشد بها لاحقا على اعتبار أنها تنطوي وبشكل مكثف على خبرات الحروب والتنبؤات عن العمليات المقبلة، كما يتم فيها صياغة متطلبات إعداد القوات المسلحة ومبادئ تنفيذ الأعمال القتالية مع استخدام الأسلحة النووية أو بدونها.

وتعتبر النظرية العسكرية المتطورة على ضوء الأبحاث العسكرية – العلمية الأساس المنطقي: للتحليل العلمي لعمليات عسكرية محددة وتقدير الموقف وإتخاذ قرارات عملية معللة والسيطرة على القوات في المعركة.

يتم الحصول على المعرفة العسكرية – العملية من خلال النشاط العسكري العملي وتوجه المعركة نحو الحصول على معارف موضوعية عن الموقف ليتسنى على ضوءها تحديد أكثر الأساليب فعالية في الكشف عن القوى والوسائط المتوفرة لدى القطعات والوحدات بهدف الأخذ بزمام المبادرة والحفاظ عليها وتوجيه ضربات نارية قوية وسبق العدو في القيام بالمناوراة وسحقه.

الموقف وتدقيق مهام الوحدات خلال المعركة واستعادة قدرتها القتالية في حال تعرضها لضربات نووية معادية. ويتوقف استخدام هذه الطريقة أو تلك من قبل القائد والأركان على العديد من الشروط، إلا أنها وفي كافة الأحوال يجب أن تؤمن تنظيم مثالي لجهد القيادة والأركان وتلقي المعلومات في حينه وتحليلها بدقة وأن توفر الفعالية والمرونة والاستمرارية في قيادة القوات ككل.

والسمات المميزة للمعرفة العسكرية – العلمية هي الاعتماد على: النهج الميداني- التفاعلي، وانجازات العلوم الاجتماعية والتقنية والأبحاث المنفذة على نطاق واسع وتعقد وضخامة حجم المعضلات العسكرية، والفعالية الخلافة، ومساهمة كافة الضباط بغض النظر عن المناصب التي يحتلونها في العمل العسكري – العلمي، والنتائج العالية في تفصي طبيعة الأعمال القتالية للقوات باستخدام الأسلحة النووية أو بدونها والعمل الجماعي في إعداد المهام النظرية والعملية واستخدام الطرق الرياضية والحواسيب الإلكترونية على نطاق واسع.

ويمكن تفهم الميزة الخاصة بعملية المعرفة العسكرية – العلمية من حيث محتواها وطبيعتها بعمق عن طريق الكشف عن خصائص الغرض الرئيسي الذي تجرى دراسته وهي ظواهر الحرب وأشكالها المحددة (العملية والمعركة) وشروط وأساليب التحضير لها وتنفيذها.

بشكل حاسم على أساليب أعمال القوات واستخدام القوى والوسائل وطبيعة قيام القوات بالمناوره وشروط تعاونها وتأمينها.

ولا يتم تقدير الموقف القتالي استنادا لحالته الواقعية في لحظة راهنة ما وإنما في ديناميكيته مع مراعاة التبدلات المحتملة في نسبة قوى الطرفين خلال المعركة وطبيعة أعمال العدو والقوات الصديقة. وتكتسب هذه الأمور أهمية خاصة في ظروف توقع استخدام العدو للسلاح النووي الذي يمكن أن يخلف أثارا حادة وغير متوقعة في تبدل وضعية الوحدات (القطعات) وقدرتها القتالية وأن تنشأ عنه حالات مأساوية ومناطق دمار وتلوث.

ويتخذ القائد قرار المعركة استنادا للاستنتاجات من تفهم المهمة وتقدير الموقف ويتم فيه إجمال وتلخيص نتائج مجمل النشاط الواعي والمدرك للقائد وضباط الأركان. ويحدد عادة في قرار الهجوم تجميع العدو وتسلسل وأساليب الوصول إلى الهدف الرئيسي وتدميره. وفي قرار الدفاع فإن أساس الفكرة يتمثل في التدابير المتعلقة بتحقيق الصمود والفعالية القتالية للوحدات (القطعات) المدافعة. وانطلاقا من هذه الغاية يتم في الهجوم والدفاع اختيار اتجاهات (مناطق) تركيز الجهود الرئيسية للقوات وتحديد طرق تجميعها وطبيعة المناورة التي ستقوم بها القوى والوسائل خلال المعركة والمهام القتالية للوحدات (للقطعات) ونظام تفاوتها، كما تحدد أيضا التدابير الرئيسية المتعلقة بتأمين الأعمال القتالية المقبلة من كافة النواحي وتنظيم السيطرة على القوات.

إن التسلسل المنطقي في معرفة القائد وضباط الأركان للموقف القتالي مع تنظيمهم لعملهم بأن واحد هو نهج للنشاط الفكري المتعلق بقيادة القوات والذي يشكل مضمونه الرئيسي الأساليب والطرق المثالية للعمل الواعي والمنظم والتي يوفر استخدامها للقائد إمكانية القيام بجمع ومعالجة المعلومات في حينه واتخاذ القرارات الملائمة في المعركة والتكيف بسرعة مع تبدلات

بواسطتها تحقيق هذه الأهداف. وللحرب من حيث مضمونها جانبان الأول، اجتماعي - سياسي والثاني عسكري - تقني (عسكري - إستراتيجي).

ويحدد مضمون الجانب الاجتماعي - السياسي للحرب أهدافها السياسية وتأثيرها على سير التطور الاجتماعي، كما يحدد التناقضات الاجتماعية التي تعتبر الحرب بحد ذاتها إحدى الوسائل الضرورية من أجل وضع حد لهذه التناقضات ويعبر مضمون الجانب العسكري - التقني (الإستراتيجية العسكرية) للحرب عن أبعادها، وسائط الصراع المسلح المستخدمة فيها وعن أساليب تنفيذ الأعمال القتالية. وبشكل هذان الجانبان لمضمون الحرب بوحدهما الكاملة التي لا تنفصم الغرض (الموضوع) الرئيسي للمعرفة العسكرية - العلمية. ويتعين على الأبحاث العسكرية - العلمية - قبل كل شيء - أن تقدم الإجابة على السؤال المتعلق بالحروب المحتملة في العصر الحالي والكشف عن طبيعتها.

المحور السادس:

طبيعة الحرب وأثرها على المحتوى العلمي للدراسات العسكرية.

وقد وفر الفكر العسكري في الظروف الراهنة الحل العلمي للسؤال الذي أشرنا إليه، حيث تم نتيجة للأبحاث التي أجريت أعداد تصور معلل نظريا لأنواع حروب العصر الحديث وللمضمون السياسي والإستراتيجي لأساليب تنفيذها وأنواع الأسلحة المستخدمة فيها ومختلف التناقضات الاجتماعية المسببة لها.

يمكن أن تنشأ في الوقت الحاضر عدة أنواع من الحروب يتميز كل منها بتناقضات اجتماعية مختلفة وممكنة، من الأهمية بمكان بالنسبة للمعرفة تحديد مضمونها السياسي. فعند تقصي أنواع الحروب تولى عناية كبيرة لإبراز التناقض الرئيسي في العصر الحديث وبيان أوضاع القوى الاجتماعية والسياسية في العالم والصفات المميزة لتلك القوى الاجتماعية (دول، طبقات، أمم، والتي يعبر تناقضها عن المضمون الاجتماعي - السياسي لنوع الحرب الراهنة). والأنواع الرئيسية لحروب العصر الحديث هي: الحروب التي تنشأ بين طبقات متنازعة في إطار دولة واحدة

لقد كانت الحرب دائما كظاهرة اجتماعية وكميدان فريد من نوعه في النشاط الاجتماعي العملي أحد أكثر الأغراض (المواضيع) تعقيدا بالنسبة للمعرفة. وقد جرت في الوقت الحاضر تبدلات نوعية ليس في مضمون الحرب وإنما في ظروف معرفتها وإدراكها مما أدى إلى تعقيد كبير للغاية في تطور النظرية العسكرية والبناء العسكري والنشاط العملي للقادة والأركان فيما يتعلق بالإشراف القتالي والسياسي على أعداد القوات والسيطرة عليها خلال الأعمال القتالية.

وإن للحرب - خلافا للعمليات الاجتماعية الأخرى - خاصة نوعية تنفرد بها وتمثل في متابعة واستمرار الدول والأمم في ممارسة سياستها عن طريق القوة ووسائل القهر والإكراه وتتجلى ماهيتها بالوحدة التي تربط بين الأهداف السياسية وتلك الوسائل التي يتم

العلمية وبالتالي التوسع الكبير في المعارف العسكرية العلمية وتفرض ظهور مجموعة من المواضيع ذات الصلة بالعلم العسكري.

ومما يؤثر على طبيعة البحث العسكري – العلمي تلك الخصائص المميزة لقوانين الحرب التي تعتبر عملية ثنائية الجانب وأكثر أشكال الصراع الاجتماعي حدة، حيث يتوخى كل طرف متورط فيها الوصول إلى أهدافه الحاسمة:

1- اتخاذ كافة الإجراءات المتعلقة بإدخال الفوضى على أعمال العدو واستخدام كل ما لديه من قوى ووسائل متنوعة لتدميره. وتكتسب هذه الخاصة للحرب كغرض (موضوع) للمعرفة في الظروف الراهنة ميزة جديدة تؤثر بشكل جوهري على تطور النظرية العسكرية ومضمون السيطرة على القوات.

2- لقد كشفت الحرب العالمية الثانية عن أكثر الأساليب المميزة لإشعال الحرب وخصوصا الأساليب الخطرة منها التي لجأت إليها دول الحلف وهو الهجوم الخاطف بالاعتماد على القوة المدمرة والساحقة نفسيا في الضربة المفاجئة الأولى والأعمال الصاعقة بهدف إرباك القيادات الحكومية والعسكرية ونسف الصمود المعنوي للشعب. وقد فتحت وسائل الصراع المسلح المتوفرة في الوقت الحاضر أفقا واسعا من حيث إمكانية تحقيق المفاجأة الإستراتيجية التي أصبح التخلص من آثارها عملا يفوق التصور بصعوبته. وانطلاقا من هذه الحقيقة فقد أُلقيت على النظرية والممارسة العملية العسكريتين مسألة ملحة تتعلق بتلافي المفاجأة وبالتالي تحسين الجاهزية القتالية العالية للقوات المسلحة وهي عملية مستمرة وذات جوانب متعددة تشكل دراسات الطرق الفعالة في حلها إحدى مهام البحث العسكري – العلمي الأكثر إلحاحا.

(الحروب الأهلية)، وحروب بين الدول الكبرى والشعوب المكافحة من أجل التحرر الوطني والاستقلال، وحروب بين دول من نفس الأيديولوجية نفسها وحروب بين دولتين لكل منها نظام يتناقض مع الآخر.

ولا يمكن القول أن المعرفة العسكرية – النظرية للطبيعة الاجتماعية للحروب وأنواعها قد انجزت مهمتها ما لم تصل إلى تحديد يتمثل في: هل هذه الحرب القائمة عادلة وتقدمية أم على العكس ظالمة ورجعية. وكما هو معروف فإن الحروب العادلة والتقدمية في العصر الحديث هي الحروب من أجل الاستقلال الوطني والديمقراطية وحماية مكتسباتها.

وفي الممارسة العملية للمعرفة العسكرية – العلمية فإن جانبي مضمون الحرب وهما الاجتماعي – السياسي والعسكري – التقني (العسكري - الإستراتيجي) يدرسان كوحدة متكاملة، مما يؤمن تحليلهما بشكل شامل من الناحيتين الاجتماعية والإستراتيجية ويوفر إمكانية القيام بأبحاث هادفة ويسمح بتحديد المتطلبات الواجب توفرها في إعداد القوات المسلحة للحرب ونظام انتشارها الإستراتيجي وتعبئتها وشكل الأعمال الإستراتيجية والبنية النموذجية لجهاز الدفاع المدني.

ومن الأهمية بمكان عند الكشف عن خصائص ومضمون الحرب المعاصرة إعطاء أهمية خاصة لارتباطها المتبادل مع كافة أنواع النشاط الاجتماعي. وإذا ما تسنى للديمقراطيات إشعال حرب عالمية فإنها ستجر إلى فلكتها جميع سكان البلاد الذي ستكون كل أراضيه مسرحا لها، وتتحول المراكز الاقتصادية والإدارية – السياسية إلى أغراض معرضة لتأثير مختلف وسائل التدمير بما في ذلك الأسلحة الصاروخية – النووية¹. وسيتوقف النصر في حرب عالمية محتملة – وكما كان الأمر في الماضي – على الحالة المعنوية والسياسية للشعب إلى حد كبير وعلى صموده النفسي وانضباطه وشجاعته وعلى حيوية الاقتصاد فيه... الخ. وكل هذه الأمور تعني توسيع غرض (موضوع) المعرفة العسكرية –

ولا تتوفر دائما الإمكانية اللوقوف على حقيقة وصحة المعلومات التي تم الحصول عليها حيث يتعين السيطرة على القوات باستمرار واتخاذ القرار في حينه. وتنحصر المهارة التكتيكية للقائد في القدرة على تشكيل صورة حقيقية للمعركة من معلومات غير كاملة ومنقوصة ومتناقضة أحيانا واتخاذ قرار سليم والتمسك بقوة "بطرف الخيط" الذي يشد إليه قواته ويجعلها طوع بنانه.

5- ولعامل الزمن في الأعمال القتالية خلافا لأنواع النشاطات العملية الأخرى الأهمية الأولى، إذ تتميز عملية السيطرة على القوات بالتناقض الحاصل بين "سيولة" المعلومات المتزايدة والاختصار الكبير في الوقت اللازم لتحليلها وتعميمها واتخاذ القرار. وهذا الصدد يكون للبحث العسكري -العلمي مهمة البحث عن طرق فعالة لحل هذا التناقض القائم وتقدير عامل الزمن بشكل سليم لصالح رفع الجاهزية القتالية للوحدات (القطعات) وتنظيم الأعمال القتالية بنجاح وتطوير طرق الإعداد القتالي والسياسي للقوات.

6- ومما يؤثر على النشاط الواعي للقائد في الموقف القتالي تأثيرا جوهريا: الخطر المستمر الذي يهدد الحياة ودرجة المسؤولية العالية التي تترتب عن القرار الذي يتخذه. وعلى هذا النحو فإن تقصي العامل النفسي في المعركة يشكل مادة هامة للمعرفة العسكرية - العلمية.

7- وتتجلى إحدى خصائص الحروب في أن الدولة لا تخوضها باستمرار، فبعد انتهاء الحرب يحل السلام، إلا أنه تحصل تبدلات خلال الفترات الفاصلة بين كل حرب وأخرى تتناول المواقف الاجتماعية - السياسية وتحسين السلاح والعتاد القتالي، مما يكون لها

3- لقد وفرت التطورات الجارية في القوات المسلحة والنمو السريع للقدرة والمناورة للقوات والأسطول الإمكانية لكل طرف من الأطراف المتحاربة لتغيير نسبة القوى بسرعة على الجبهة وتوجيه ضربات قوية وعنيفة في عمق العدو بكامله والأخذ بزمام المبادرة في فترات زمنية قصيرة والحفاظ عليها بصلابة. وأن هذه الخاصية للحرب كعملية ثنائية الجانب وما تتميز به من ديناميكية ومناورة تؤثر بشكل جوهري على النظرية والممارسة العملية للمعرفة العسكرية - العلمية وعلى نشاط هيئات القيادة من قادة وأركان. ولا شأن لأية مهنة باستثناء المهنة العسكرية بالغرض (الموضوع) الذي يمانع بشكل فعال ومدرك في تحقيق الأهداف التي يتوخاها الطرف الآخر. وقد أشار "ألبرت اينشتاين" إلى أن الطبيعة معقدة بالنسبة للوعي والإدراك، لكنها ليست سيئة القصد والنية². وتتجلى خاصة المعرفة العسكرية - العلمية في أن العدو تظهر دائما سوء القصد ويسعى إلى إفشال خطط الطرف المعادي وفرض إرادته عليه.

4- وتشترط الأعمال المضادة للعدو: تكتمه على أفكاره وتمويه قواته ووسائله وإمكانية توجيه ضربات نارية ونووية على قواتنا، العمل على جعل الموقف القتالي التكتيكي المعروف مهما وغامضا، وأن المعارف التي يحصل القائد عليها عنه تتميز دائما بعدم الكمال وسرعة التبدل والتقدم. وفضلا عن ذلك فإن للمعطيات التي تكون في متناول يد القائد درجات متفاوتة من الحقيقة بحيث يمكن اعتبارها استنادا إلى ذلك:

1- معلومات موثوقة.

2- محتملة مشكوك فيها. 3- أو كاذبة.

السابقة تظل حيوية في الوقت الراهن وتجدر مراعاتها في عملية تطور النظرية العسكرية.

10- يتعين على النهج التفاعلي أن يراعي ولو بأشكال متفاوتة خبرات الحروب المحلية المعاصرة مع النظر إلى أن أهدافها السياسية والإستراتيجية وأبعادها وأساليب تنفيذها وتحديد فيما إذا كانت تتفق وطبيعة الأعمال العسكرية لحرب صاروخية نووية عالمية محتملة.

11- يعتبر التطبيق العملي لمشاريع القوات والمشاريع المنفذة بهدف اكتساب الخبرات التي تقترب من الظروف الحقيقية للمعركة قاعدة للبحث العسكري العلمي. وهنا يجب أيضا مراعاة أن الممارسة العسكرية في أوقات السلم هي نموذج محدود للغاية عن الممارسة العملية في حرب محتملة.

وفي الوقت الحاضر تكتسب دقة التنبؤ عن عمليات الحرب والحقيقة الموضوعية للإستنتاجات النظرية أهمية خاصة في البحث العسكري - العلمي. فقد تمكنت الأطراف المتحاربة في الماضي من تلافي العيوب في النظرية العسكرية التي جرى اعتمادها قبل بدء هذه الحرب خلال استمرارها لفترات زمنية طويلة نسبيا. ومن الخطورة بمكان في الوقت الراهن التخطيط على أساس أن لا شيء يتكرر بطريقة مماثلة، إذ يجب وضع النظرية العسكرية لتكون على أفضل شكل وأن تدخل في التطبيق العملي لتدريب القوات على الأعمال القتالية قبل تنفيذها بشكل فعلي.

وتحدد الخصائص التي تطرقنا إليها للحرب الحديثة الشروط المميزة لتطور النظرية العسكرية وتجعل من البحث العسكري - العلمي أحد أعقد أنواع البحوث وتخلق صعوبات - بدرجة متساوية مع غيرها - أمام عملية المعرفة العسكرية - العملية أثناء تنفيذ الأعمال العسكرية.

تأثيرا مباشرا على طبيعة الحرب القادمة وأساليب خوضها. وهذه الخاصة صفة لازمة لحروب الماضي والحاضر، غير أن تأثيرها على تطور الفكر العسكري لا يظهر دائما بأشكال متشابهة، فالاتجاه التاريخي يسير بشكل تتعزز فيه أكثر فأكثر الأعمال التي تدرس هذه الخاصة إنه كلما ازداد التقدم الاجتماعي وأثناء ذلك فإن عملية تطوير النظرية والممارسة العسكريين تصبح أمرا لا مفر منه.

8- ومما يتميز به العصر الحديث: وجود مجموعة كاملة من العوامل الاجتماعية الجديدة.

9- إلى جانب التأثير الهائل للثورة العلمية - التقنية على تطور العمل العسكري بشكل استدعى تبدلات نوعية في الوسائط الفنية لتنفيذ الأعمال القتالية. ولهذا فإن القوى الكبرى إذا ما أشعلت نار حرب بالوسائط العادية للصراع وبنفس طبيعة استخدامها القتالي فستكون حربا تختلف وإلى حد كبير عن الحروب القديمة، مما يلقي على عاتق النظرية العسكرية مهمة معقدة للغاية تتمثل في البحث حتى في أوقات السلم عن أشكال وأساليب للأعمال التكتيكية والعملياتية تتلاءم مع ظروف ومتطلبات الفن العسكري الجديدة.³

ويبرز في هذا الصدد سؤال عن صلة العمل العسكري بخبرة الحروب السابقة؟ وعلى وجه التحديد بخبرة الحرب الوطنية العظمى؟ ولا يمكن في الوقت الحاضر للممارسة العملية لحروب الماضي أن تكون منطلقا كافيا لتطور العلم العسكري نتيجة للثورة التي شملت العمل العسكري. فقد استدعت الضرورة البحث عن حلول وأفاق جديدة للتنبؤات في كافة ميادين البناء العسكري آخذة بعين الاعتبار القاعدة المادية المعاصرة للحرب. وبطبيعة الحال فإن كثير من خبرات الحروب

يحدد مضمون المعارف العسكرية – العلمية ومستواها وميزاتها الأساسية في هذه المرحلة أو تلك للتطور التاريخي وفقا:

- 1- لطبيعة العمليات الموضوعية للحرب.
- 2- إتجاهات البحث العسكري – العلمي.
- 3- المهام التي تناط بالعلم العسكري ودرجة التعمق في جوهر العمليات التي يتم بحثها وتقصيها.¹

وتتمثل إحدى النزعات المميزة لتطور المعارف العسكرية في التوسع المستمر بدائرة هذه المعارف وبظهور ميادين ومواضيع عسكرية – نظرية جديدة- وتعكس المرحلة الراهنة تعقيد الحرب بحد ذاتها وزيادة تأثيرها وتأثرها بكافة جوانب الحياة الاجتماعية، كما تفرض هذه الأمور بدورها الارتباط المتبادل والملائم بين العلم العسكري بالفلسفة والعلوم الاجتماعية والتقنية والطبيعية.

وأهم خواص المرحلة المعاصرة للمعارف العسكرية – العلمية هي في ارتباطها المتبادل والمعقد بالمعارف الاجتماعية العامة والعديد من العلوم الطبيعية والتقنية والعقائد العسكرية العالمية غنية بالمعارف العسكرية – العلمية بحيث يمكن اعتبارها مجموعة متكاملة من وجهات النظر التي تغل وبشكل علمي جوهر وطبيعة وأساليب تنفيذ الحرب، والمتطلبات الواجب توفرها في البناء العسكري أيضا وإعداد القوات المسلحة والبلاد لسحق العدو والانتصار عليه. وقد تجلّى ظهور العقائد العسكرية العالمية بشكلها المحدد في النظرية والممارسة العملية لبناء القوات المسلحة والإستراتيجية والفن العملي والتكتيك.

تبرز الإستراتيجية كأرق الميادين في مجموعة المعارف العسكرية – العلمية باعتبارها أهم الأجزاء المكونة للنظرية العسكري والملمة بكافة جوانب المسائل النظرية والتطبيقية المتعلقة بتدريب الجيش والأسطول

إن الخصائص المميزة للغرض الذي تجري دراسته لا تؤثر وحدها بشكل جوهري على مضمون المعرفة العلمية بل هناك أيضا مستوى المعارف المتوفرة حوله ودرجة التعمق في جوهره.

وقد توصلت بحوث العمليات في الوقت الحاضر لمستوى عال في تطورها وتحتل مكانة متقدمة في العلم العسكري لدول العالم. وهي لم تتوقف عند حد إذ تستمر عملية تحسينها مع تطوير طرق المعرفة العسكرية – العلمية التي تعتمد على مستوى المعارف العسكرية – العلمية المتوفرة. وطريقة المعرفة في ظهورها المحدد – كما سبق القول – ليست إلا استخداما للمعارف المتوفرة بغية متابعة تطويرها وإغنائها.

ويختلف مستوى ومضمون المعارف العسكرية – العلمية في المرحلة الراهنة اختلافا جوهريا عن الفكر العسكري الذي كان سائدا في الماضي، فطبيعتها المغايرة تنطوي في الوقت الحاضر على نشاط واع ومدرك من قبل الكوادر العسكرية، لذا كان من الأهمية بمكان في عملية الإدراك العسكري – العلمي واستخدام طرق الاستقصاء لحل المهام النظرية والعملية مراعاة مستوى المعرفة العسكرية العلمية وميزاتها الأساسية في المرحلة الراهنة.

المحور السابع:

مستوى الإدراك العلمي في الدراسات العسكرية.

المعنوي - السياسي والنفسي للشعب وأفراد القوات المسلحة...الخ. وقد فرضت ضرورة تقصي عمليات لها مثل هذا الطابع ظهور علوم عسكرية - اجتماعية مثل نظرية العمل العسكري - السياسي في القوات المسلحة ونظرية الاقتصاد العسكري وعلم النفس العسكري وفن التعليم والتربية العسكرية والعلوم القضائية. ولكل من هذه العلوم حدود مشتركة بين النشاط العسكري وأنواع النشاطات غير العسكرية التي تعمل في ميادينها.²

تنطوي المعارف العسكرية - العلمية في مضمونها على مجموعة علوم عسكرية - تاريخية: تاريخ الحروب، تاريخ الفن العسكري، تاريخ تطور هذا النوع من السلاح والعتاد القتالي أو ذلك وتاريخ بناء القوات المسلحة...الخ. ويرتبط إعداد البلاد للحرب وخوض الأعمال العسكرية والبناء العسكري إلى حد ما بمصادر المعارف العلمية، أضف إلى ذلك أن بعض هذه المعارف بحكم صلتها المباشرة بالشؤون العسكرية تتحول إلى مجموعة متكاملة من العلوم العسكرية الخاصة. ويمكن أن نورد منها على سبيل المثال لا الحصر الجغرافية العسكرية وفروع علم الجيو- فيزياء العسكرية- التطبيقية والمساحة والطبوغرافيا العسكرية والملاحة العسكرية والأرصاد الجوية العسكرية...الخ.³

إن المعارف العسكرية - العلمية معقدة من حيث بنيتها المتداخلة فيما بينها والمرتبطة بشكل وثيق بفروع مختلفة، وتتمتع بأساس موضوعي موحد إذ أنها تعكس في مضمونها غرضا رئيسيا واحدا هو الحرب كعمليات متعاقبة ومتكاملة تخضع بعلاقاتها وارتباطاتها المختلفة للقوانين العامة والخاصة للتطور واتجاهاته. وتهدف المعرفة العسكرية - العلمية، مهما كانت جوانب الحرب التي تطرق إليها التطور من حيث ارتباطاتها وتفرعاتها، إلى أن تكون لها نزعة واحدة هي الوصول وبكل الوسائل إلى زيادة القدرة الدفاعية لوطننا ورفع مستوى الإعداد القتالي والسياسي للقوات ومستوى النظرية والممارسة العملية في السيطرة عليها خلال العمليات والمعارك وتعزيز القدرة القتالية للجيش. وتحدد وحدة المعارف

وإعدادهما للحرب وتخطيط وتنفيذ هذا التدريب، واستخدام أنواع أوجه القوات المسلحة والسيطرة عليها. وتحدد الإستراتيجية - بحكم تميزها واحتلالها المقام الأول في سلم الفن العسكري - اتجاه تطور الفن العملياتي والتكتيك. وفي واقع الحال فإن مستوى تطور الإستراتيجية هو المؤشر الرئيسي لتطور الفن العسكري ككل. والفن العملياتي هو الحلقة الوسيطة بين الإستراتيجية والتكتيك ويعمل على حل معضلات تحضير وتنفيذ العمليات والأعمال القتالية المشتركة أو المستقلة للجحافل العملياتي وأنواع القوات المسلحة على مسارح الأعمال العسكرية والاتجاهات الإستراتيجية. ويختلف الفن العملياتي عن الإستراتيجية - على الرغم من أنهما يشكلان مادة (ظاهرة) علمية واحدة - من حيث أنواع القوات المسلحة.

يدرس التكتيك - وهو العنصر المتمم للفن العسكري - المسائل النظرية والعملية لمعركة الوحدات والقطاعات والتشكيلات، وبالتالي صنوف القوات والقوات الخاصة. وفي الواقع فإن لكل صنف من القوات والقوات الخاصة التابعة لأنواع القوات المسلحة تكتيكه الخاص به الأكثر حركية وديناميكية في تطوره وسرعة استجابته لكافة التبدلات في الوسائط المادية والأفراد لخوض الحرب. ولدراسة التكتيك أهمية خاصة بالنسبة للكوادر العسكرية.

ويمكن في الوقت الحاضر اعتبار بعض النظريات على أنها فروع للنظرية العسكرية قائمة بحد ذاتها نسبيا كنظرية بناء القوات المسلحة ونظرية السيطرة على القوات ونظرية الدفاع المدني...الخ.

تؤثر الحرب في الظروف الراهنة كم هو معروف تأثيرا لا حدود له على كافة جوانب الحياة الاجتماعية وتنطوي على كثير من العمليات العسكرية - الاجتماعية والعسكرية - التقنية. وينسب للعمليات العسكرية - الاجتماعية: التأمين الاقتصادي لخوض الحرب والإعداد

وأساليب تنفيذ الحرب وما رافق ذلك من ضرورة التنظيم وتعميم المسائل النظرية، والأهم من ذلك عندما قامت مذاهب ومناهج المعرفة العلمية والموضوعية الميدانية والتفاعلية.

وقد حمل العلم العسكري منذ بدء نشأته وحتى نهاية القرن الثامن عشر تقريبا طابعا تجريبيا بشكل رئيسي. وكانت القاعدة الوحيدة للتعميم هي نشر ما تجمع من خبرات قتالية عملية، وقد اتصف هذا العمل عادة بطابع التوصيات العملية التي اتخذت شكل مبادئ للفن العسكري.

واستطاع العلم العسكري في مرحلة معينة من تطوره [حينما توفرت المواد الكافية للتعميم النظري وبدأت المعرفة العسكرية - العلمية باستخدام طرق التحليل الشامل والتجريد] استطاع البدء بالكشف عن جوهر الحرب وإظهار صلاتها وعلاقتها القانونية المشروعة. قصارى القول أن العلم العسكري بدأ يأخذ شكل العلم النظري.

وقد جرى التطور اللاحق للمعارف العسكرية - العلمية من هذا المرحلة باتجاه التعمق أكثر فأكثر وبشكل هادف في عمليات البحث العسكري والكشف عن القوانين الأساسية للحرب وتمييز الفن العسكري عن سواه باحتوائه على مواد عسكرية نظرية قائمة بحد ذاتها في عداده وتركيبه هما الإستراتيجية والتكتيك وفرز عنصر وسيط في الفن العسكري هو فن العمليات.

وكشف العلم العسكري المعاصر باعتماده على الاستنتاجات العامة لخبرات قرون عديدة من حروب الماضي وخصوصا الحروب الوطنية العظيمة بشكل كامل وعميق.

1- القوانين الموضوعية للحرب وتنفيذ الأعمال العسكرية.

2- عالج مبادئ البناء العسكري وفن الحرب المعللة علميا.

العسكرية- العلمية الطبيعية المركبة لمعالجة المعضلات العسكرية - العلمية. ولا يجوز في الوقت الحاضر على سبيل المثال تحسين نظام وطرق السيطرة على القوات دون الاعتماد على معرفة الإستراتيجية وفن العمليات والتكتيك والسيبرنيتيك (علم التحكم الأتوماتيكي) وعلم النفس وغير ذلك من المواد العلمية.

ويستحيل على نفس المستوى حل معضلات علم النفس العسكري بمهارة دون معرفة ومراعاة أسس المعركة الحديثة وتأثيرها المتعددة الجوانب على نفسية الإنسان والخواص القتالية للأسلحة والعتاد. وتؤثر وحدة ميادين المعارف العسكرية - العلمية والعلاقة المتبادلة فيما بينها تأثيرا جوهريا على طرق المعرفة العسكرية - العلمية واستخدامها في حل معضلات عسكرية - علمية معينة. وفي الوقت الحاضر تستخدم على نطاق واسع في الأبحاث العسكرية - العلمية الطريقة المركبة مع الاستفادة من المناهج والأبحاث المتعلقة بالعمليات وطرق التحليل المنظم والمبوب.⁴ إلا أن تجدر الإشارة إلى أن إدراك الطرق العامة للمعرفة العسكرية - العلمية وقوانين الحرب يمكن أن تستخدم وحدها كمنطلق وشرط أولى لوضع حل ناجح للمعضلات العسكرية - العلمية الخاصة.

وتتمثل إحدى النزعات الرئيسية لتطور العلم العسكري في تعمقه بكل علاقات وارتباطات الحرب وما يرافقها من ملابسات وفي كشف ماهية العمليات العسكرية المتعاقبة، وتبرز هذه النزعة عند اكتشاف القوانين الأساسية والأصيلة الكامنة في صلب الوظيفة التي تؤديها الحرب وتطورها وظواهرها المحددة.

تتلخص السمة المميزة للعلم العسكري المعاصر في احتوائه على العلوم الأساسية والأصيلة والتطبيقية. وقد أصبحت المعارف المتعلقة بالحرب في تاريخ تطور النظرية العسكرية علمية في مرحلة معينة من التقدم الاجتماعي فقط، وقد بدأ ذلك ممكنا عندما توفر مستوى كاف من المعارف التجريبية حول البناء العسكري

والتخطيط لها من جديد وإعداد مفاهيم إستراتيجية مغايرة لما سبقها. وحملت الحرب العالمية الثانية أيضا عشية نشوبها تعديلات جوهرية في وجهات النظر العسكرية- النظرية، وقد تناول هذا الأمر جيوش دول الحلفاء على وجه الخصوص. ودعت التبدلات النوعية الكبيرة في الحياة الاجتماعية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وما رافق ذلك من ثورة في الشؤون العسكرية إلى:

- 1- التنبؤ بعمق وبدقة.
- 2- إجراء حسابات عملياتية-إستراتيجية معللة علميا.
- 3- المرونة في تخطيط العمليات.
- 4- التقدير الواقعي للموقف العسكري - السياسي المتشكل في العالم.
- 5- حساب نسبة القوى.
- 6- دراسة مساح الأعمال العسكرية.

ومن الطبيعي أنه يستحيل توقع كل شيء مسبقا، فمن وجهة نظر عمق وطبيعة توقع ظواهر الحربيبدو من المستحسن وضع حدود للتوقع العسكري - النظري يكون على مستويين:

الأول/ توقع ظروف نشوب الحرب وسيرها وأساليب تنفيذها بما يتوفر في الوقت الحاضر من أسلحة وعتاد قتالي ونسبة القوى الراهنة.

الثاني/ توقع آفاق تطور القوات المسلحة وإمكانية ظهور مرحلة جديدة من حيث النوعية لهذه القوات، وحصول تبدل في الموقف الاجتماعي - السياسي العالمي.

ويجب أن ندرج في عداد مهام التوقع العسكري على المستوى الأول:

- تحليل الزمن الممكن لإشعال المعتدي لنيران الحرب.
- التنبؤ عن أسلوب شنّها.

3- الطرق الفعالة في تدريب وتربية المقاتلين التي تؤمن جاهزية قتالية عالية ودائمة للقوات المسلحة. ومجمل هذه الأمور يعني أن العلم العسكري أصبح علما نظريا أصيلا مع اعتباره في نفس الوقت علما تطبيقيا ودليلا عمليا للكوادر العسكرية.

إن المعارف العسكرية - العلمية الرئيسية ضرورية ليس فقط للوصول إلى وضع حل للمعضلات العسكرية - العلمية التطبيقية، وإنما تعتبر قاعدة لا غنى عنها ودليلا لتوسيع الآفاق العسكرية - النظرية للكوادر العسكرية، وللتوجه وبشكل علمي نحو تنفيذ المهام المتعلقة بالسيطرة على القوات ورفع نوعية وفاعلية التدريب القتالي وتحسين المهارات القتالية للمحاربين.

ومن الطبيعي أن لا تستند المعالجة العلمية للعديد من المعضلات العسكرية - العلمية الرئيسية المعاصرة [مثل الكشف عن القوانين الموضوعية للحرب والعملية والمعرفة وآلية أعمالها وأشكال ظهورها] على طرق تجريبية من المراقبة والاختبار، وإنما يتطلب حلها تطوير الطرق النظرية النموذجية والاستفادة من كافة إنجازات الفكر العلمي وأحدثها.

وتكتسب الأبحاث العسكرية - العلمية الأساسية أهمية خاصة في التنبؤ عن طبيعة الحروب القادمة والبحث عن أفضل الأساليب الفعالة لخوضها وتحديد الاتجاهات العامة لبناء القوات المسلحة.

ويعتبر العلم العسكري في جوهره علما لدراسة الحروب المستقبلية المتوقعة، ففي الماضي حيث جرت التحولات الاجتماعية والتطورات على الوسائط المادية للحرب بشكل بطيء كان مضمون العلم العسكري يعتمد وإلى حد كبير على الخبرات العسكرية. غير أن الحرب العالمية الأولى أثبتت أن مثل هذه المعارف بدت غير كافية لتنفيذ المهام العسكرية - في قرن التقدم العلمي - بشكل سريع وحاسم، فقد تعين على الإركان العامة في مجرى هذه الحرب التخلي نهائيا عن الخطط السابقة للعملية

العسكرية ووضع التوصيات المحددة والعملية لرفع الجاهزية القتالية لتشكيلات والقطعات والوحدات.

إن التطور السريع في الوسائط المادية للحرب والتبدلات الجارية باستمرار في الموقف الاجتماعي – السياسي وتعدد عملية المعرفة العسكرية – العلمية وضرورة توقع المستقبل بشكل علمي تتطلب من الكوادر العسكرية التحسين المستمر للمعارف العسكرية – العلمية والنهج الخلاق في حل المعضلات التي تعترضهم.

- أبعاد استخدام القوى والوسائط في بدايتها.
- تحديد سيرها المحتمل ومراحلها الممكنة وأساليب تنفيذها.

ومن المهم في هذا الصدد التنبؤ وبدرجة احتمال كبيرة عن التغيير الذي سيحصل في نسبة قوى ووسائط الطرفين وإمكانية ظهور أزمات في المواقف. أن حل هذه المهام يوفر الإمكانية لوضع توصيات معللة علميا خاصة بالمعضلات الأساسية للبناء العسكري وتطور النظرية العسكرية.

ويتطور المستوى الثاني للتوقع العسكري – العلمي أيضا على حل ثلاث مهام رئيسية على الأقل:

- 1- تحديد اتجاه التقدم العسكري – التقني وطرق تحسين أنواع الأسلحة المتوفرة حاليا وإنتاج أسلحة جديدة في نوعيتها.
- 2- كشف طرق التغييرات المستقبلية في بنية القوات المسلحة ونسبة صنوف القوات ووسائط الهجوم والوقاية.
- 3- تحديد المعضلات التي ستقوم في المستقبل في وجه الاتجاهات الرامية لرفع الجاهزية القتالية للقوات طبقا لطبيعة الحرب المقبلة. ويعتبر حل هذا المهام مقدمة وشرط أولى لتخطيط تطوير القوات المسلحة الذي طال أمده.

وبما أن التوقع العسكري – النظري والنشاط العملي يرتبطان ارتباطا وثيقا فيما بينهما لذا يتعين على البحث العسكري – العلمي تحقيق أقصى حد من الدقة الممكنة للتوقع والوثوق به وكشف النزعات الجديدة في حينه مما يؤمن إدخال التعديلات على الخطط التي تم إعدادها، وأخذ إنجازات العلم والتقدم في صناعة العتاد بعين الاعتبار لتحسين طريقة وأصول التنبؤ. وتعتبر مراعاة هذه المتطلبات شرطا هاما لتطوير النظرية

المحور الثامن:

الطابع الابتكاري العلمي في البحوث العسكرية.

ويستحيل بدون الإبداع العلمي التعجيل بعملية التقدم العلمي - الذي يشكل إحدى المهام ذات الأولوية للمقاتلة على عاتق الدولة. وتتوقف عملية زيادة فعالية الأبحاث العلمية بدورها على النشاط المبدع للعاملين في الحقل العلمي.

لقد تطلب النشاط العسكري (بكل ما ينطوي عليه من تعقيد وتعدد للأشكال) من القادة والأركان جميع أفراد القوات المسلحة دائما إظهار أقصى درجات الإبداع والاتجاه نحو التجديد والإختراع بجرأة. وما تنفيذ المعركة ببراعة وتحقيق النصر على العدو بقوى متكافئة أو أقل إلا مهارة تتميز بالفن التكتيكي الذي يكون كغيره من الفنون مستحيلا بدون بدايات خلاقة وبدون البحث عن طرق وأساليب تكتيكية جديدة. ويكتسب الإبداع أهمية خاصة في المرحلة الراهنة لتطور العمل العسكري، ويتصف هذا بتسارع وتيريات تطويره، وبروز معضلات جديدة تتطلب نهجا مبدعا في حلها وتعقيد النشاط العسكري النظري والعمل¹.

إن ازدياد أهمية الجانب المبدع والخلاق في نشاط الناس يتطلب ضرورة الكشف عن ماهية عملية الإبداع وأسسها المنهجية والنفسية والطرق العملية لتحقيقها، لذا لم يكن من قبيل الصدفة أن تظهر في الوقت الحاضر أعمال كثيرة مكرسة لتحليل ظاهرة الإبداع والتفتيش عن طرق لزيادة فعالية النشاط العلمي.

يتمثل الشرط المنهجي العلمي الأولي الذي لا غنى عنه في النهج نحو الكشف عن طبيعة الإبداع في الفهم الميداني- التفاعلي. لماهية الوعي كعملية نشطة تعكس الواقع في إدراك البشرية انطلاقا من تأثيره العملي المتبدل. وهذه الفاعلية الموجهة والهادفة لإدراكنا هي أساس الإبداع والشرط الذي يوفر للإنسان إمكانية تغيير العالم بما يتفق مع غاياته وحاجاته العملية. وعندما يعكس الإنسان الواقع من خلال متطلباته الداخلية يدرك ارتباطاته وعلاقاته التي تسهل من تحقيقها أو تخلق الصعوبات في طريقها وتشكل خطة

ينطوي الإبداع في مفهومه الواسع على خلق القيم الموضوعية والروحية الضرورية في المجتمع وعلى الأساليب الجديدة في الحصول على هذه القيم انطلاقا من الخبرات والمعارف الإنسانية التي تراكمت على مدى أجيال. وتظهر المعارف الجديدة في الوعي والإدراك عندما يصبح واضحا أن المعارف المتوفرة غير كافية لتأمين نجاح النشاط العملي، أو عندما تكون الحقائق المكتشفة والتي لم تدخل بعد إطار المفاهيم والتصورات غير قابلة للتوضيح على أساس النظرية القائمة والمعمول بها. ويتم الإقرار بالمعرفة الجديدة وتلقى رواجها في حالات إثباتها بالتجربة وجعلها أساليب حل المهام العملية أكثر فعالية، ولهذا لا يمكن اعتبار كل معرفة جديدة تختلف عن ما هو موجود في الوقت الحاضر على أنها معرفة جديدة حقا.

وللنشاط الإبداعي مظاهر متعددة الجوانب، فهو في النشاط العسكري - العلمي اكتشاف قوانين ونواميس جديدة في الأعمال العسكرية المتعاقبة وإظهار- آلية تأثيرها وبالتالي - وعلى هذا الأساس - إعداد آراء عسكرية - نظرية ومفاهيم عملياتية وتكتيكية جديدة. ويؤدي القادة والأركان إبداعا في نشاطهم العملي يتمثل في تحسين البنية التنظيمية للقوات وطرق القيادة وإدخال أساليب جديدة على تنفيذ الأعمال القتالية وطرق مبتكرة لرفع الجاهزية القتالية للقوات وتدريب وترقية الأفراد.

ويتجلى القانون العام للتطور الاجتماعي في أنه كلما كما تقدم العلم والتقنية أسرع كلما كانت العلاقات الإنتاجية والاجتماعية عرضة للتبدل أكثر وبالتالي سيلعب النشاط الإبداعي للناس دورا أكبر في تكوين المصالح المادية والقيم الروحية للمجتمع.

للشخصية العسكرية. كتب (م.ف. فرونزة) "لكي تكون إستراتيجيا ممتازا في الميدانين السياسي والعسكري على حد سواء لابد من توفر صفات مميزة خاصة أهمها على الإطلاق ما يسمى بالبدئية، وهي القدرة على التكيف بسرعة في جميع المواقف المعقدة والتمسك بكل ما هو أساسي ورسم خطة محددة للصراع والعمل انطلاقا من ذلك".²

وتحدد أهمية الإدراك البدئي في عملية النشاط القتالي وظهور فكرة الأعمال واتخاذ قرار المعركة بثلاثة ظروف:

- 1- توفر كمية كبيرة من المعطيات عن الموقف يتم استنادا لتحليلها وتقديرها اتخاذ القرار على الرغم من عدم اكتمالها دائما.
- 2- الحاجة إلى استكمالها وتدقيقها.
- 3- ضيق الوقت لدى القائد لاتخاذ القرار وإسناد المهام للمرؤوسين.

من هنا يتضح وبشكل كامل أن البدئية تبرز في مثل هذه الظروف كأحد العوامل الأساسية في السيطرة على القوات، ولهذا كان من الأهمية بمكان تنمية المقدرة البدئية لدى الكوادر القيادية في تقدير الموقف واتخاذ القرار.

والبدئية ضرورية للكوادر العسكرية – بنفس المستوى – خلال عملية تطوير وتحسين النظرية العسكرية. فمن المعروف خلال عملية تطوير وتحسين النظرية العسكرية. فمن المعروف أن إعداد أساليب جديدة لتنفيذ الأعمال القتالية يعتمد دائما على مجمل المعارف السابقة عن طبيعة العملية والمعركة وعلى تحليلها المنطقي والمهارة في استخلاص الاستنتاجات والافتراضات المعللة. وإلى جانب ذلك فإن وجود وسائل وأساليب وأعتدة حديثة نوعيا لتنفيذ المعركة تستدعي وبالجملة إعداد أساليب وطرق جديدة – من حيث المبدأ – لاستخدامها القتالي، ويحتم حل هذه المسألة البحث عن حالات جديدة لإنجاز المهام القتالية.³ وتبرز البدئية

عمل فكرية تساعد وإلى حد كبير في الوصول إلى الأهداف التي وضعها نصب عينيه.

ويتم أثناء النشاط العملي الذي يجري على أساس العمل الفكري (المثالي) الكشف عن هذه العقبات أو تلك التي لم تؤخذ بالحسبان والتي تشكل مواقف حرجة تحث الإنسان على تحديد طرق تلافيا من خلال الوعي والإدراك. ويمكن للإنسان أن يعدل ويبدل العالم وفقا لغاياته ومثله التي تستند إلى قوانين موضوعية واعية مؤثرة في الكون ومتأصلة فيوعيه وإدراكه، ويمكن له بالاعتماد عليها فقط أن يبدع وأن يبتكر.

وتشكل النظرية الحديثة لبنية تراتيب قتال القطعات والوحدات في المعركة المشتركة باستخدام الأسلحة النووية تصميم مثالي جديد ونموذج ممكن للمعركة. ولم توجد في الواقع معارك وترايب قتال مشابهة لا في الماضي ولا في الحاضر وما تشكيها إلا نتيجة تصور علمي مبدع، وإلى جانب ذلك فإن هذا التصميم الفكري لنموذج المعركة وترايب القتال عبارة عن انعكاس مثالي لعناصر موجودة حقيقة وهو ما يتوفر من أسلحة وعتاد ووسائل قيادة وتأمين ومستوى لتدريب الأفراد بما يتلاءم مع الحاجة القائمة فعلا لحل مسائل التكتيك العويصة ضمن الشروط الجديدة.

يتجلى الإبداع العلمي في ظهور أفكار جديدة تدخل في أساس اكتشاف الصلات والعلاقات المجهولة سابقا وإعداد أساليب جديدة للنشاط العلمي. وترى الفلسفة المثالية أن ظهور أفكار جديدة هو نتيجة للبدئية أو السليقة التي تفهم على أنها وحي أو إلهام فوق العادة - (نفاذ البصيرة)، والجوهر الرجعي لهذا المفهوم واضح. ويلجأ المفكرون الليبراليون بنفهم للحجج والبراهين على تشكيل تربة خصبة لازدهار العلوم الكاذبة ولكل ما هو مخالف للعقل.

وتلعب البدئية دورا هاما للغاية في النشاط العسكري والمعرفة العسكرية – العلمية، وأكثر من ذلك فإن القدرة على المعرفة البدئية ضرورة لا غنى عنها

جديدة واستنتاجات نظرية وتوصيات عملية وأن يعطي دفعا للتقدم في مجال العمل العسكري.

تتلخص السمة المميزة للنشاط المبدع في حداثة وإبتكار الطرق والأساليب لوضع حد للمعضلات العلمية، وبما أن البحث لا يوصل إلى حل للمهمة العادية لذا يكون في كل مرة غير مكثف ويتحرك على محاور غير ممهدة. ويستحيل مسبقا تحديد طريق الكشف العلمي بالتفصيل، وإلا فإنه يعتبر محصلة للنشاط الإبداعي. وما يتميز به البحث العلمي هو عدم تحديد النتائج المتوقعة بدرجة معروفة.

تنحصر صعوبة عملية الإبداع العلمي في أنه باعتماده على إنجازات مجمل المعارف العلمية المكتسبة من دراسة أحد ميادين الواقع يخرج في نفس الوقت عن حدود المبادئ النظرية المتوفرة والمعطيات الناجمة عن الخبرة.

وتتجلى إحدى الخصائص المميزة للإبداع العسكري - العلمي في طبيعة الفن العسكري ذاته كفن لخوض عمليات ومعارك مستقبلية تفتقر كافة جيوش العالم لخبرات حقيقية عملية لتنفيذها. وفي مثل هذه الحالة فإن الحل الخلاق لهذه المعضلة العسكرية - العلمية أو تلك يعتمد على مادة نظرية وتجريبية غيرمتجانسة ومتعارضة من حيث دلالتها وأهميتها. ونفهم من هذا أن أحد المعطيات الأولية للإبداع العسكري - العلمي يتمثل في المفاهيم العسكرية- النظرية التي تم إعدادها استنادا لتعميم خبرات الحروب الماضية. غير أن وجهات النظر هذه يمكن أن لا تتفق مع التنبؤات النظرية وكذلك الحقائق التي تم الحصول عليها من مشاريع القوات والاستقصاء وتعميم نتائج الممارسة العملية لخوض الحروب المحلية المعاصرة. ولهذا يعتبر الحل المبدع للمعضلات العسكرية - العلمية: عملية معقدة لها خصائصها.

ومن خلال هذا يرتبط البحث المبدع في الميدان العسكري - العلمي بالتقدير النوعي ليس فقط لحالة

في هذه الحالة كأحد أهم الوسائل للحصول على معرفة جديدة وأعداد تكتيك حديث.

وبطبيعة الحال فإن المعرفة المستقاة بطريقة بديهية لا تشكل بحد ذاتها معرفة علمية، إذ أن الفكرة البديهية - الباعث العلمي - في بداية ظهورها تحتاج للتقليل المثالي والخضوع للتجربة والاختبار العملي لتصبح بعد ذلك علمية. وهذه ظاهرة هامة في الميدان العسكري - النظري يجب مراعاتها عند تعميم نتائج التطبيق العملي للمشاريع وخبرات التدريب القتالي. ولا تتوفر في ظروف النشاط القتالي دائما إمكانية تقديم تعليل منطقي للمعرفة البديهية - "نفاذ بصيرة القائد". وفي كثير من الحالات فإن إتباع أسلوب ما في إتخاذ القرار يخضع لاعتبارات تحقيقه عمليا قبل تعليله منطقيًا، وهذا بدوره يتطلب من القائد معارف نظرية عميقة وخبرات عملية نظرا للشرط الأول الذي تتصف به المقدرة على المعرفة البديهية العسكرية - العلمية والمتمثل في قوة الإدراك الخلاقة للنظرية والعملية وعمق سعة الإطلاع والآفاق العملية- التكتيكية الواسعة. وتشكل هذه الميزات شرطا لا بد منه للقائد لتطوير إدراكه البديهي وخلق عقلية غنية منطقيًا متعددة المزايا لديه.

ويتميز الإدراك كعنصر هام للمعرفة بعدة خصائص مميزة لظهوره سواء في تطور النظرية العسكرية (البحث العسكري - العلمي) أو في عملية النشاط القيادي العملي.

يتصف بالبحث العلمي بمجموعة دلالات تميزه عن المعرفة خلال النشاط القيادي العملي، إذ يرتبط بحتمية اكتشاف شيء ما جديد في المجال الموضوع قيد الدرس وإبراز صفاته وخصائصه وقوانينه التي لم تجد انعكاسا لها في النظرية العسكرية. وبطبيعة الحال - لن تحمل كل نتيجة للبحث العلمي طابع السبق في الاكتشاف، غير أن كل بحث يجب أن يسهم في تطور المعارف العلمية ويساعد في إغناء عملية هذا التطور بحقائق

وتجدر في هذا الصدد الإشارة أيضا إلى إحدى ميزات الإبداع العسكري - العلمي والمتمثلة في خاصة العلم العسكري التي تنحصر في أن المعارف العسكرية المكتسبة (والتي تؤكد صحتها الممارسة العملية والحسابات النظرية) يتم تثبيتها في أنظمة القتال والوثائق الأخرى على شكل توصيات ومبادئ تستوجب التقيد بها، وهذا ما تفرضه السمات الخاصة المميزة للنشاط العسكري الذي يتطلب وحدة وجهات النظر والإرادة والعمل.

وبدون شك فإن لهذه الحالة سلبياتها أيضا حيث تصفي صفة المطلق لدرجة ما على ما هو موجود وتساعد على التفكير الجامد اليقيني، فالإبداع في الفكر العسكري - العلمي يجب أن لا يكون مقيدا بمعدلات وقوانين عامة محددة لأن هذا يحد بشكل حتمي من التفكير ويفقره ويؤدي إلى التصور المبسط والتقليد الأعمى.²

يتمثل الشرط الرئيسي والهام للوصول إلى حل مبدع للمعضلات العسكرية - العلمية والأفكار الجديدة الطارئة: في التفكير الحر (الخيال).

ويرتبط الحل المبدع لأية معضلة عسكرية - نظرية بتحديد طبيعة النموذج المحتمل للعملية أو المعركة وأساليب تنفيذها كما يستدعي توفر معطيات تجريبية يستحيل الحصول عليها بشكلها النهائي في الوقت الحاضر. ويجب تلافي هذا النقص في المادة التجريبية بقوة التصور الخلاق. ومن الطبيعي أن الخيال في العلم العسكري، كما في غيره من العلوم، يجب أن لا يتعد عن حقائق الواقع الحي وعن الموقف الحقيقي، وأن يأخذ بعين الاعتبار وبدقة طبيعة الأسلحة الحديثة ووجهات نظر وآراء العدو المحتمل والنسبة الحقيقية في القوى والقوانين الموضوعية للحرب. ويتعين على الفكر المبدع إجمال ومراجعة عناصر الواقع المتعددة الجوانب وتشكيل مفاهيم معقدة - استنادا إلى ذلك - تتلاءم وشروط الأعمال القتالية القادمة في ظروف الموقف المعقد ومقاومة عدو قوي تتصف أعماله بالفعالية.

الوحدات الصديقة وسلاحها وعتادها وإنما لتكتيك أعمال العدو المحتمل والتجهيزات القتالية والفنية لوحدها والجهود العسكرية للأطراف المتجابهة. فلا يجوز - على سبيل المثال - إعداد نظرية لتنفيذ المعركة دون أن تؤخذ بالحسبان وجهات نظر الجانب المعادي الذي يقف على الطرف الآخر. فضلا عن ذلك فإن الحصول على المعطيات المنشودة يحمل دائما طابع التوقع والتنبؤ بالغيب مما يعقد عملية الإبداع العسكري - العلمي.

والخاصة الرئيسية والهامة للإبداع العسكري - العلمي التي تتناول حل معضلات تنفيذ الأعمال القتالية المحتملة تنحصر بدرجة تعقيد - وفي بعض الأحيان - باستحالة الإثبات العملي في وقت السلم للنتائج التي تم الحصول عليها. ويمكن أن تستخدم هذه القرينة كمنطلق لنفي كل ما هو جديد خارج عن إطار التصورات العادية للخبرات المتكونة من جهة، ولرفض الخطط الكاذبة والعاجزة غير المعللة من جهة ثانية. ولهذا توصف المعرفة بالجديدة لأنها تخرج من حدود المفاهيم السائدة والمبادئ ووجهات النظر المثبتة والراسخة. ولهذا وبمقتضى استقرار محدد للتفكير الإنساني فإنه يصعب للغاية على الآخرين إدراك هذه المعرفة.

والمعرفة الجديدة في النظرية العسكرية التي تعلق لاحقا يجب أن لا تكون قابلة للإدراك فقط وإنما يجب أن تتوفر فيها إمكانية الاستخدام السريع في التطبيق العملي للتدريب القتالي للقوات.¹ ومن هنا تبرز أهمية إغارة الانتباه لنتائج النشاط العلمي الخلاق. ولا يصح على الإطلاق نبذ ما يسمى ارتجالا وبلا تروي بجديد ولا سيما أنه لم يدخل بعد في إطار التصورات والأفكار المتكونة. ويفرض التقدير الناقد وإدراك كل ما هو جديد تخطي الحاجز النفسي في تفكير الكوادر العسكرية، فالمهمة الرئيسية للتربية العسكرية هي الإحساس بكل ما هو جديد والقدرة على فهمه والجرأة في التفكير والسعي نحو البحث والتفتيش والشجاعة والإقدام.

على عقله، وإنما تلك التي تكونت لديه في حالات عدم الوعي وغياب الشعور.

يعتبر الإلهام على درجات التأجج العاطفي في النشاط الإبداعي ويتصف بزيادة الفعالية الكلية وسمو التفكير، ويتجلى في إدراك الأهمية الاجتماعية لحل القضايا المطروحة وجاذبية الأفكار التي يتم إعدادها. والشرط الأولي الذي لا غنى عنه للإلهام هو المثابرة على العمل الذي يسبقه وطول الإناءة في التفكير. وقد أشار الأكاديمي (ف.ي.فيرنادسكي) إلى ذلك بصورة مجازية فقال أن جذور كل كشف جديد تمتد بعيدا في الأعماق، ويحوم الفكر الإنساني حول الكشف الوشيك الوقوع وكالأمواج المتلاحقة التي تنساب على الشاطئ إلى أن تأتي الموجة التاسعة (أقوى الأمواج) ويحدث الكشف.³

المحور التاسع:

البعد الإبداعي للقائد في المعركة: أسس علمية لا بد منها.

يستحيل تحقيق النصر في المعركة والعملية دون إظهار الفعالية والمبادرة والإبداع من قبل أفراد القوات المسلحة كافة. ومعلوم لدينا أنه بدون بدهة الجندي والبحار لا يمكن تحقيق النجاح في الحرب المعاصرة. وترجع أهمية هذه الصفات القيادية خاصة إلى تلك الظروف التي تستخدم وتحقق في إطارها الأفكار والقرارات والخطط الموجهة نحو سحق العدو، وسنأتي على أبرزها فقط.

يتميز الموقف القتالي دائما في أن عناصره وعلاقاته وارتباطاته المتشابكة لا تكرر نفسها، إذ لا يمكن القول أن ظروف موقف قتالي هي صورة طبق الأصل لموقف آخر سابق. وهذه الخاصة لشروط الموقف القتالي تحدد مدى عجز القرارات المتشابهة والأعمال التي تتصف بالتقليد الأعلى وتبرز أضرارها. وتتوقف براعة القائد في

تتعلق درجة فعالية الإبداع العسكري بعدة عوامل أهمها على الإطلاق: القدرات الواعية والمدرسة للباحث كالمرونة والتفكير وحب الاستطلاع والجرأة في التعامل مع المعضلات الجديدة ووضع حل لها، والقدرة على التقليل والقياس والمراجعة والإثبات. ويفهم بوضوح أن هذه القدرات تبرز عند توفر معرفة عميقة لأسس الفن العسكري، وسعة الأفق العملياتي- التكتيكي، واستيعاب أصول الأعمال المتعلقة بالبحث والاستعصاء.

إن النجاح في تطوير العلم العسكري يتطلب إظهار القدرات المبدعة وخلق ظروف لتحسينها لدى الكوادر القيادية والعلمية وقد قيل أن العبقرية نادرة وتحتاج إلى عمل منظم وحذر للحفاظ عليها.

يتمثل أهم شرط لمردود الإبداع العلمي في العوامل الدافعة والحافزة، أي في كل ما يجند ويعيى طاقات الإنسان. وتقسم هذه العوامل بشكل عام إلى عوامل اجتماعية وشخصية وأخرى تتعلق بالوعي والإدراك، وينسب إلى النوع الأول منها المتطلبات الاجتماعية المطروحة على العالم والباحث لإيجاد حلول لها، وتعود العوامل الشخصية لدوافع مادية ومعنوية توفر نتائج بحث مرضية، وينحصر العامل المتعلق بالوعي والإدراك في السعي نحو الوصول للحقيقة. وتتوقف فاعلية العمل في مجالات البحث على توافق وانسجام العلاقة بين العوامل الثلاث هذه التي تكون ذلك الدافع والحافز الذي يستحيل بدونه الإبداع العلمي.

تخلق الانفعالات الإيجابية ظروفًا أكثر ملائمة لزيادة فعالية تدفق الأعمال النفسية وتعبئة ما بداخل الإنسان من معارف مكتسبة، حتى تلك الكامنة في الحالات العادية خارج حدود الإدراك. فقد أثبتت خبرات البشرية لآلاف السنين أنه يمكن للإنسان في لحظات التوتر العاطفي أن يجد حلا لا تتوفر له دائما إمكانية فهم مصدره وكنهه. ويبدو أن الانفعال أو التأثير يجند كل الخبرات التي أكتسبها الإنسان في حياته، وأكثر من ذلك ليس تلك الخبرات التي يعيها ويدركها وغير المستعصية

القتالية يتم اللجوء إليه لأول مرة ولم يسبق أن فكر فيها أحد.

تشير خصائص النشاط القتالي المشار إليها إلى أنه يجب تناول مبادئ أنظمة القتال والإرشادات وأنظمة خطة الأركان بـفكر سليم وحسب الموقف المتشكل بدقة. وبالتالي فإن سمات الفعالية والمبادرة والإبداع ضرورية للقائد ويشكل إظهارها في المعركة والعملية شرطا هاما لنجاح النشاط القتالي.

إن لجوء القائد لأساليب وأعمال غير متوقعة بالنسبة للعدو تؤدي إلى تضليله ومباغتته - مؤشرا هام على إبداعه في المعركة. وتقدم الحروب الوطنية الكبرى العديد من الأمثلة لقرارات اتسمت بالإبداع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اختيار اتجاه توجيه الضربات الرئيسية على عدو مدافع، فقد كانت تتم عادة على أماكن ضعيفة في الدفاع وفي وقت لا يتوقعه العدو مما كان يزيد من أثرها ومساهمتها في النجاح العام.

ويتمثل أحد مظاهر الإبداع لدى القائد خلال الأعمال القتالية في ما يسمى بالدهاء العسكري وسرعة البديهة والمقدرة على خداع العدو وإرغامه على اتخاذ قرار لا يتلاءم مع الواقع. أن طرق وأساليب خداع العدو عديدة للغاية مثل نقل الرمايات خلال التمهيد الناري للهجوم بشكل نسبي، والتظاهر بالهجوم على اتجاه كاذب والبراعة في تمويه ترتيبات قتال الوحدات والسرعة في تغيير وجهة الجهود الرئيسية على اتجاهات جديدة ومرونة المناورة بالقوى والوسائط،... الخ.

ويقضي إبداع القائد اللجوء خلال الأعمال القتالية إلى أشكال وأساليب لتنفيذ المعركة لم تستخدم سابقا وبشكل تسهم فيه بتطور تكتيك المعركة. ومثال على هذا الإبداع تشكيل نقاط استناد مضادة للدبابات في قطاعات الجبهة الغربية في خريف عام 1941م، وكان ذلك بسبب الظروف الموضوعية التي تمثلت في السعي نحو زيادة ثبات الدفاع وتأمين القدرة على الصمود أمام

مثل هذه الحالات على الفهم الصحيح للأفكار التي تنشأ عن موقف معين للأحداث، والمقدرة على الإحساس بديناميكية تطور المعركة واتخاذ أفضل قرار يوفر إمكانية لتنفيذ المهمة القتالية. والنجاح في المعركة هو نتيجة فوز أحد الطرفين في صراع عنيد تقف فيه القوى الموضوعية والروحية لأحد الأطراف ندا لما يقابلها من عوامل مماثلة لدى الطرف الآخر، فإرادة وذكاء القائد تجابههما وتقاومهما إرادة وذكاء العدو. وإذا كان الإنسان يخلق لنفسه في مجالات النشاط الأخرى ظروفًا ملائمة للوصول إلى غاياته في معظم الحالات، فإنه يتعذر على القائد تكوين مثل هذه الظروف على أكمل وجه حيث يجد نفسه مضطرا للتصرف حسب موقف متشكك رغما عن إرادته ورغبته. وتتجلى براعته في هذه الحالة في فرض إرادته على الخصم والوصول إلى النصر بأقصر فترة زمنية وبأقل الخسائر.

يتعرض الإنسان في حياته ونشاطاته إلى حالات عرضية، وهذه الحالات إما أن تقدم له فرصة تحقيق ما يبغى من طموحات، أو على العكس من ذلك تقف حائلا دونها وتزيد الأمور تعقيدا. وتلعب الحالات العرضية في المعركة والعملية دورا أكبر وأهم مما هي عليه في الظروف الأخرى للممارسة العملية إذ يتعين على القائد الاستفادة إلى أقصى حد من الحالات السانحة منها ووضع حد لتلك التي تقف عائقا أمام الوصول لهدف المعركة. وكما هو معروف فقد أثبتت الحروب الوطنية حيوية وسلامة المفاهيم العسكرية - النظرية والتي جرى إعدادها في فترة ما قبل الحرب. وأكثر من ذلك فقد كانت الكوادر القيادية مطالبة منذ بدء الأعمال القتالية بالبحث عن أساليب وطرق جديدة مغايرة لما ورد في توصيات نظام القتال والمتعلقة ببنية ترتيبات قتال القطعات والوحدات وطرق التأثير الناري على العدو وتنظيم التعاون والسيطرة على القوات¹ ومما لاشك فيه أن الأعمال القتالية في الحروب المقبلة ستزخر بأحداث كبيرة غير متوقعة تتجلى فيها براعة القائد في مقدرته على إيجاد أساليب لخوض الأعمال

الأساس فلن تقوم مقام بدهاة القائد أية حاسبة إلكترونية في حرب قد تنشب في المستقبل، إذ لا غنى عن حسه كعنصر إبداع في المعركة.

وعند تقييم محاسن إمكانيات الآلات الحاسبة ونجاح البرمجة لا يصح النظر إليها على أنها مشابهة للنشاط الخلاق للقائد، إذ أن تفكير الآلة محروم من عناصر الذاتية لأنها بحد ذاتها من الناحية المنطقية صماء ولا تتوفر فيها متطلبات ذاتية في تكوين شيء جديد. فالآلة من هذه الناحية عنصر مساعد للإنسان توفر عليه عناء القيام بالعديد من العمليات الشكلية – المنطقية.

يمكن لإبداع القائد أن يتجلى بالكامل في الموقف القتالي وأن يقدم الأثر المرجو منه عندما تساعده في ذلك ظروف اجتماعية وتتوفر فيه ميزات ذهنية ونفسية خاصة. وتشكل البدهاة والفتنة والفعالية شروطا ضروريا بالنسبة للقادة في سعيهم للوصول إلى النصر في المعركة. ولهذا كان للصلابة العقائدية – السياسية لدى الكوادر القيادية وولائهم لقضية الدولة وشعبيهم وقناعتهم بعدالة أهداف الحرب – أهمية اجتماعية كبرى واعتبرت كشرط أولي لإبداع القائد في الظروف المعقدة للموقف القتالي.

يتمثل أبرز عامل لإبداع القائد في خلق ظروف توفر له حرية الأخذ بزمام المبادرة والاستقلالية في العمل ضمن إطار المركزية (المتسامحة) أثناء السيطرة على القوات. فقد كتب (م.م. هاليداي): "لا داعي لأن تكون أطر مركزية السيطرة على القوات أكبر مما يمكن لقائد القوات أن يقوم بها عمليا والمركزية تعني في واقع الحال تعطيل للفعالية، فقد يتأخر القائد الأقدم في إخراج ما يريد إلى حيز الوجود لسبب من الأسباب فيما ينتظر المرؤوس التوجيهات، مقيدا بما تفرضه المركزية عليه".⁴

إن الظروف المعقدة للأعمال القتالية المعاصرة تتطلب مركزية في السيطرة على أعداد كبيرة من القوى والأعداء المشاركة في المعركة، وهذا يستدعي ضرورة وضع شروط على نشاط كل قائد تستوجب الإلتزام

الهجمات الكثيفة للدبابات الهتلرية² وقد طورت التشكيلات والقطعات السوفييتية خلال الحرب هذه الفكرة المتواضعة التي كانت تمثل البداية فقط فأقامت أجهزة الدفاع المضادة للدبابات. ونجد مثلا بارزا على إبداع القادة السوفييت في الأسلوب الفعال الذي لجأوا إليه والمتمثل في التأمين الناري لأعمال القوات في الهجوم من حيث تنظيم وتحقيق الدعم بالمدفعية والطيران مما كان يوفر قوة نارية فعالية للوحدات المهاجمة منذ بدء المعركة وحتى نهايتها. ومن المؤشرات على الإبداع أيضا استخدام المدافع المضادة للطائرات في صيف وخريف عام 1941م للصراع مع الدبابات الفاشية بعد أن تم تحويلها للرمي المباشر، وكان ذلك حدثا فريدا في الشؤون العسكرية لأن مثل هذه الأعمال لم يرد لها ذكر في أنظمة قتال ما قبل الحرب.

غير أنه كانت في الفترة المشار إليها أمثلة على الإبداع لم تطور لاحقا وبدت غير قابلة للاستمرار منها لجوء بعض القادة الفرنسيين إلى تشكيل الدفاع البؤري (على شكل نقاط ارتكاز) في بداية الحرب، حيث لم تقدم هذه الطريقة النتيجة المرجوة منها لعدم ملائمتها لطبيعة المعركة وتتاح في الظروف الراهنة للقادة من كافة المستويات إمكانيات أوسع لمموحاتهم الخلاقة حيث تتحول المعركة إلى معركة ديناميكية تتصف بالمناوره.

لقد أصبحت الحاسبات الإلكترونية أهم وسيلة لرفع فعالية السيطرة على القوات، حيث يوفر استخدامها إمكانية تقدير المعلومات التي تم الحصول عليها بسرعة وبدقة أكثر وإجراء حسابات معقدة وتعليل القرار والبحث عن أساليب تكتيكية جديدة في المعركة، مما قدم لبعض المنظرين العسكريين الغربيين حجة الإدعاء بأن نشاط القائد في المعركة لم يعد يتطلب الإبداع في عصر "السيبيرنيتيك"³. وإنما تحول إلى مهنة. "لقد تدنى دور الفن العسكري إلى مستوى العتاد القتالي نتيجة انتصار النواحي المادية على المعنوية منها، وتحول القائد ليصبح جزءا من الآلة العسكرية واستبدل هو وفنه بعمليات تقنية تقليدية". أن هذا المبدأ باطل من

وعند تنظيم إعداد الكوادر القيادية يتم تهيئة الظروف لتكوين تفكير علمي مبدع يفي بمتطلبات الحرب الحديثة.

بتعليمات الرئيس الأقدم الذي يتخذ القرار المتعلق باستخدام القوى والوسائل المتوفرة في الوحدات. إلا أن هذا كله لا ينفي أهمية مبادرته، حيث يظل الموقف القتالي ميدانا واسعا يبدي فيه كل قائد إبداعه وبداهته، فهو كرئيس المستوى الأعلى يقدر الموقف ويحدد الفكرة ويتخذ القرار ويسند المهام للمرؤوسين وينظم التعاون والتأمين. والنجاح في المعركة ممكن في الحالة التي تتجسد فيها فكرة وقرار القائد الأعلى عمليا وبشكل خلاق.

ويوفر الواقع العملي والطبيعة الاجتماعية في القوات المسلحة وطابع العلاقات المتبادلة بين الأفراد مقدمات ضرورية لإبداع القائد في القيام بواجبه. وتوجه كافة أنظمة التدريب والنشاط العملي للكوادر العسكرية نحو رفع مستوى المعارف النظرية لكل قائد والتطوير المستمر للخبرات العملية.

يتم تطوير نظام تدريب وتربية الكوادر العسكرية في إطار تشجيع عملية البحث والإبداع والابتعاد عن خلق قوالب جامدة في التفكير لا تنم عن الأصالة، وتحاشي التقليد الأعمى. والتعليم ليس عملية حفظ عن ظهر قلب لمعارف معدة وجاهزة، وإنما هو تأمل وتبصر من لقاء الذات وتوجه مبدع لاستيعاب المادة المدروسة، أنه قبل كل شيء عملية تكوين تفكير خلاق قائم على المعارف المكتسبة.

ويستدعي تطوير المعارف النظرية تنظيم نشاط عملي للكوادر القيادية مثل مشاريع القوات. ومن الهام جدا أن تشكل هذه المشاريع موقف جديد يتصف بالتعليم والإرشاد بحيث ينفذ كل درس ميداني وكل طلعة بحرية وجوية وكافة مشاريع القيادة والأركان في ظروف معقدة هي أقرب ما تكون للواقع القتالي الفعلي. بهذا فقط يمكن تطوير التفكير العملي- التكتيكي المبدع والمبادرة لدى القادة على مختلف مستوياتهم والسعي لاستخدام أكثر الأساليب فعالية في تنفيذ الأعمال القتالية.

المحور العاشر:

الجدل العلمي المنهجي في تطور الفكر العسكري.

لقد كان الفكر العسكري على الدوام وثيق الصلة بتطور مسرح العمليات، إذ يساهمان معا بإنجاز مهمة عملياتية واحدة، وقد برزت الآراء الميدانية للشخصيات العسكرية على شكل منطلقات منهجية لوجهات نظرهم العسكرية وأكست تطور وتقدم الفكر العسكري اتجاهها معينا وأغنت مضمونة. وتجدر الإشارة إلى أن "الإسكندر المقدوني" اعترف بالفضل الكبير لتأثير فكر مربيه "أرسطو طاليس" عليه فقط جاء على لسانه:

"إنني أعتبر "أرسطو طاليس" بمنزلة أبي، فإذا كانت مدينا لأبي بحياتي فإنني مدين "لأرسطو طاليس" بكل شيء يفنيه حقه".¹

وقد أكد الفيلسوف البارز "هيراقليطيس" منذ القدم على: "أن الحرب أصل لكل شيء وسيدته، فهي وحدها التي تحدد من سيكونون قادة ومن سيكونون أناسا عاديين، وهي وحدها أيضا التي تصنع العبيد والأحرار".²

كما عبر "أرسطو طاليس" عن وجهات نظر ملاك الأقتان فبرر الحرب على أنها ضرورة للسيطرة على العبيد ومما جاء على لسانه قوله "يمكن النظر إلى فن الحرب ولدرجة معينة على أنه واسطة طبيعية لإقتناء العقيدة . وعلى أبعد تقدير فإن ذلك الجزء من الفن العسكري الذي يشكل الصيد موضوعه يجب أن يهتم على حد سواء بصيد الحيوانات البرية وأولئك الناس الذين خلقوا بالطبيعة ليكونوا أتباعا ولا يرغبون في الخضوع والاستسلام، ومثل هذه الحرب هي عادلة بطبيعتها".

ويلاحظ أفكار الموضوعية في وجهات النظر العسكرية لدى القدماء –وعلى وجه الخصوص – في تنفيذ المهام التطبيقية. وحسب رأي الكاتب العسكري الروماني "فيجيتسيا" الذي ورد ذكره في كتاب (عرض موجز للقضايا العسكرية) فإن الفضل في إحراز النصر على العدو يعود إلى تجميع القوى المادية والروحية للدولة وإعداد البلاد للحرب، وفي القدرة على قيادة الجيش والشعب ومعرفة الشؤون العسكرية ومبادئ الفن العسكري.

وبتأثير الفكر على الممارسة العملية العسكرية شاعت الأفكار التفاعلية للعلاقات المتبادلة والتطور وتناقضات العمل العسكري التي ساعدت على خلق المرونة في التفكير لدى القادة، وعلى تطور الإبداع العسكري. وكان "ايامينون" أول من نبذ فكرة توزيع القوات بشكل متساو على الجبهة، واعتمد التشكيلات المركزة على القطاع الهام للبنية القتالية، ليبدأ بذلك إرساء أسس مبدأ تكثيف القوى والوسائط على الاتجاه الحاسم في الأوقات العصبية، وهو مبدأ تكثيف القوى والوسائط على الاتجاه الحاسم في الأوقات العصبية، وهو المبدأ

ويحتل صراع الأفكار الموضوعية والمثالية مكان الصدارة في التاريخ العسكري، وقد تسنى للموضوعية في هذا الصراع أن تتحسن وتكتسب باستمرار محتوى جديدا وأن تحتل وعلى حساب المثالية موضعا بعد آخر. وقد وجدت هذه النزعة انعكاسا لها في تطور الفكر العسكري أيضا، إذ أن كل من الفلسفة والمعارف العسكرية مرهونة بمقتضيات المجتمع المتنامي، لذا كان ظهورهما في مرحلة واحدة من الناحية التاريخية. وقد أدى ظهور أول تكوين اجتماعي تسوده المنازعات، ألا وهو مجتمع الرق إلى بروز ظاهرة الحرب في الحياة وتكوين الجيوش، وبالتالي إلى تعميم خبرات التحضير للأعمال القتالية وتنفيذها.

لقد خطت كل من اليونان القديمة وروما خطوات واسعة في تطوير العمل العسكري. وقد تسنى بالتحديد للقادة والمفكرين العسكريين اليونانيين والرومان قبل غيرهم تكوين وصياغة مبادئ الفن العسكري بشكل أقرب ما يكون إلى الكمال، ويعود ذلك إلى مستوى التطور الرفيع – في هذين البلدين – ليس في مجال العمل العسكري فقط، وإنما في الثقافة العامة وعلم الاجتماع والفلسفة. من هذا المنطلق فإنه يصعب فصل تأثير الميدانية على تكوين الأفكار العسكرية – النظرية عن بقية العوامل الأخرى مثل الظروف الاجتماعية والإنجازات العلمية ومستلزمات تطور العمل العسكري نفسه.

إن الحرب والبناء العسكري ظاهرتان معقدتان تتسم دراستهما النظرية وتوضيحيهما بنوعية متباينة غير متجانسة لكثرة مواضيعها. وإذا ما تناول الحديث إدراك الحرب وجوهرها ومنشئها والأسباب العامة والشاملة المسببة الانتصارات وهزائم الجيوش كظاهرة اجتماعية، فعندئذ يمكن لتأثير وجهات النظر الميدانية أن يكون مباشرا وكاملا أكثر من سواها، إذ تهيمن طبيعة الظروف الاجتماعية – التطبيقية وباستمرار على هذا الميدان وتفرض نفسها عليه بشكل حاسم.

حتى أصبح علما مستقلا له خصائصه المميزة، أنه حصيلة آراء وعقائد نظرية مبعثرة وغير كاملة في الميدان العسكري امتزجت واندمجت بدورها في مجموعة موحدة من المعارف العسكرية وعلى درجات متفاوتة من التطور.

لقد كان نشوء وتطور العلم العسكري البورجوازي مرهونا بعوامل مختلفة للغاية، مثل التقدم البورجوازي في العمل العسكري كمحصلة للنمو الهائل في القوى المنتجة وتفاقم التناقضات الاجتماعية وتأثير العلم والتكنولوجيا والقضاء على الحواجز الطبقيّة التي كانت تقف عائقا في طريق الكوادر العسكرية الموهوبة من الطبقات الدنيا والمتوسطة... الخ. وظهر في عهد الثورة البورجوازية نخبة من القادة والمفكرين العسكريين البارزين أمثال (ج. لويد: 1720م-1782م)، (ج. بيبولوف: 1757م-1807م)، (نابليون: 1763م-1821م)، (ك. كلاوزفيتز: 1780م-1831م)... وغيرهم.³

وتجدر الإشارة إلى أن العلم العسكري البورجوازي عانى منذ نشوئه وباستمرار من تأثير مناهج محدودة ضيقة الأفق يعود سببها لإرتباط فلسفة ذلك بالتعبير عن مصالح الطبقة الاحتكارية المستغلة فقط، إلا أن هذا القصور الاجتماعي والمنهجي لم ينف حقيقة ظهور العلم العسكري البورجوازي في نهاية القرن الثامن عشر واستمراره إلى يومنا هذا.

لقد جرت في عصر الثورة البورجوازية تحولات عميقة في العمل الفكري، إذ ظهر بتأثير من اختراع الأسلحة النارية والعوامل الاجتماعية كذلك التكتيك الذي يقوم على تشكيلات السرايا والكتائب، ومن ثم الترتيب المنتشرة، وهو الأمر الذي أصبح ممكنا فقط في ظروف توفر روح معنوية عالية أكثر لدى المقاتلين، وقد أثر ذلك على طبيعة الأعمال العسكرية فزاد من أبعادها وحجمها وفرض أيضا زيادة تعداد أفراد الجيوش.

أولى أحد المفكرون العسكريون وهو راتزلعناية كبيرة للوسط الجغرافي ودوره في الحرب، غير أنه - وفي حالات

الذي لم يفقد أهميته في وقتنا الحاضر. وتوصل "الإسكندر المقدوني" إلى تحقيق التعاون التكتيكي المعقد بين صنوف القوات وبعض قطعات ترتيب القتال وحول الفرسان إلى وسيلة ضاربة لسحق العدو. ولجأ "هانيبال" إلى استخدام أرفع أشكال التكتيك، ألا وهو التطويق. وقد أغنت معاركه الفن العسكري العالمي وأصبحت نموذجا كلاسيكيا للإحاطة بقوات كبيرة معادية. وأوصل "يوليوس قيصر" في ظروف مجتمع الرق مناورة القوات على أرض المعركة لدرجة الكمال وحول الاحتياط ليكون وسيلة حاسمة في تحطيم العدو. من هذا يتضح أن العمل العسكري لم يسلك سبلا متناقضة، وإنما على العكس سار على الطريق حل التناقضات. فقد تطور الإبداع العسكري على شكل صراع مع الأسلوب الميتافيزيقي في التفكير.

وفي القرون الوسطى أوليت علاقة الفلسفة بالنظرية العسكرية وتقدم العمل العسكري بمجمله عناية ضعيفة نتيجة سيطرة وسيادة علم اللاهوت دون سواه، ونتيجة التطور البطيء في وسائل الحرب وتعلق وشغف عديد من الشخصيات العسكرية في ذلك الوقت بتقاليد الفن العسكري في العصور القديمة.

إلا أن نشوء الرأسمالية وتطورها ساعدا على الإسراع في العمليات العسكرية، حيث قدمت هذه المرحلة عطاء ملحوظا يتسم بالاستفادة من عظمات ودروس الماضي في مجال النظرية والممارسة العسكرية. ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار - قبل كل شيء - أن نفس العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت بشكل حاسم على نشوء الفلسفة (التطور السريع في القوى المنتجة والعلم والعتاد، وانتصار العلاقات الاجتماعية الرأسمالية التي صاحبها نمو في فعالية الجماهير) قد أصبحت سببا يدعولنهضة الفكر العسكري - النظري.

ويرتبط بظهور وتطور الكيان الرأسمالي الاجتماعي والاقتصادي تكون العلم العسكري البورجوازي. ولم يتشكل الفكر العسكري فجأة، وإنما مر بمراحل عديدة

فكرة "الخلود" و"عدم التبديل" في الفن العسكري وسعى إلى الكشف عن ظواهر الحرب من خلال صلاتها وعلاقتها المتبادلة ومن خلال ديناميكيتها وتطورها، وبين قوانينها ومبادئها.

وتدور تعاليم "كلاوزفيتز" حول فكرة صلة الحرب بالسياسة، وما الحرب - حسب تعبيره - سوى "سياسة استعاضت عن القلم بالسيف". إلا أنه يرى السياسة مجرد ميدان للعلاقات بين الدول بعيدا عن المصالح التطبيقية. وهو يعتمد في هذا على استنتاجات من نظرية "هيجل" القائلة "بالدولة اللاتطبيقية" المعبرة عن مصالح المجتمع ككل.

وقد تسنى "لكلاوزفيتز" أن يصيغ مجموعة من المبادئ الإستراتيجية مثل التعبئة العامة لقوى البلاد والجيش بغية تحقيق النصر، والمناورة المرنة للقوات، والاقتصاد في القوى، وأن تكون الأعمال هادفة وموجهة، وكسب الوقت، والاستفادة من النجاح الذي يتحقق في المعركة بشكل حاسم، وتحقيق المفاجأة... وما إلى ذلك.

وكان للآراء الفلسفية للثوريين الديمقراطيين الروس في النصف الثاني للقرن التاسع عشر أثرا بالغا على تطور الفكر العسكري - النظري الروسي. ونخص بالذكر منهم (ن.ج. تشيرنيشيفسكي) الذي مارس الكتابة في مواضيع النظرية العسكرية وأصدر في عام (1857م-1858م) كتاب "المرجع العسكري" الذي تبدو فيه آراؤه قريبة من التقييم المادي لجوهر الحرب ودورها في المجتمع.

ودفعت التحولات الاجتماعية - السياسية بعد الإصلاح عام 1861م روسيا إلى طريق التطور الرأسمالي، فتعقد السلاح والعتاد أكثر فأكثر وتزايد تعداد القوات المسلحة وبدأ العمل ببناء السكك الحديدية. وفي مثل هذه الظروف دعت الضرورة إلى إيجاد نظام جديد في تجهيز الجيش وسلوك طريقة أكثر مرونة في تدريب وتربية الأفراد وإتباع نهج جديد في حل المسائل المتعلقة بالإستراتيجية والتكتيك.

عديدة - غالى كثيرا إلى درجة أن وصفه في مصاف العوامل الحاسمة. ومما لاشك فيه أن الميدانية الجيوبوليتيكية لم تهمل أهمية هذا العامل وتأثيره حتى أنها أقرت بما يسمى بالحتمية الجغرافية، غير أن هذا المفكر يحدد نوعية الجيش نفسه بالظروف الجغرافية حيث يقول: "إن سكان السهول والمناطق الخصبة لا يتمتعون عادة بالمناعة المناسبة والمطلوبة ونادراً ما يصلحون للحرب، فقليل من الأعياء يقعدهم عن متابعة المسير ويحتاجون لطاقت أكثر ويفتقدون لذكاء وفراسة أهال الجبالي".

لقد إتصفت الموضوعية قديما بالآلية مما جعلها تؤثر التأثير الذي يتفق مع الفكر العسكري - النظري لذلك العصر. وظهر هذا - على سبيل المثال- في الهندسة الفريدة من نوعها لبعض المفاهيم العسكرية ومحاولات إقحام وحشر الظواهر المعقدة للحرب والعمل العسكري في القوانين الحسابية. فقد تم عرض وشرح الإستراتيجية من قبل هؤلاء المؤلفين على شكل نظريات هندسية، وفسرت كافة المبادئ على أساس هندسي بحت.

ويمكن - بناء على رأي- لويد- في حال معرفة الأرض بشكل جيد "حساب كافة العمليات بدقة هندسية وخوض حرب مستمرة دون الحاجة للدخول في معركة إضطرارية". وليس من الصعب - استنادا إلى هذه النظرية - ملاحظة مدى ما يميز موضوعية ذلك العصر من إضفاء صفة المطلق على أحد العوامل وتجاهل دور بقية العوامل طبيعة الأعمال القتالية للعدو ودرجة استعداد الجيوش... وما إلى ذلك.

ويعود التأثير الكبير على تفكير عديد من المنظرين العسكريين للفلسفة الألمانية الكلاسيكية، وبالتحديد لفلسفة "هيجل" التي ظهرت بوضوح في آراء "كلاوزفيتز"، حيث اعتمد على الطريقة الموضوعية المفكر الألماني الشهير في ضرورة نقد كل قديم في ميدان فهم الحرب وقيادة الصراع المسلح والبناء العسكري. وقد كان "كلاوزفيتز" أول من نبذ في النظرية العسكرية

أنواع جديدة من الأسلحة بشكل مفاجئ، ولنوعية التسليح ودرجة إتقان الإستفادة منه أن يرفع أو يثبط الروح المعنوية، وللأسلحة النووية الحديث - على وجه الخصوص - تأثير معنوي ونفسي قوي. إلا أن تأثير العتاد القتالي على القوى المعنوية للبشر يحمل طابعا نسبيا، إذ لا يحدد طبيعة القوى المعنوية للقوات، كما أن درجة تأثير العوامل التكنولوجية على القوى المعنوية تتعلق بالحالة المعنوية العامة لعناصر الجيش، وبمستوى تدريبهم وصلابة القائد والتنسيق بين القطعات والوحدات.¹

وفي الختام فإن الشروط الجغرافية وطبيعة مسرح الأعمال القتالية مرتبطة بالروح المعنوية وتشكل عاملا ماديا في الحرب، إذ تتطلب الأعمال القتالية في ظروف القطب الشمالي أو الصحاري الحارة أو الجبال توفر صفات معنوية - قتالية رفيعة لدى الأفراد وصمودا نفسيا عاليا.

من هنا فإن تأثير العوامل المادية للحرب على الجانب الروحي مختلف ومتنوع، لذا يتطلب بالتالي عند تحليله نهجا يتفق مع ذلك ويأخذ بالاعتبار تأثير كل عامل من هذه العوامل على الأفراد.

يتمثل مطلب النهج الموضوعي الذي لا غنى عن دراسة الحرب والعملية والمعركة في الكشف عن القوانين الموضوعية الكافية في أسس وظيفتها وتطورها. فالحرب أيضا كعملية اجتماعية تخضع للقوانين الموضوعية لتطورها. ولا تصبح النظرية العسكرية واعية وعلمية ما لم تعكس في مضمونها قوانين الحرب.

وتعني معرفة القوانين الموضوعية للحرب الكشف عن مضمون الحرب نفسها وطبيعة العمليات والمعارك، إذ أن لها - كغيرها من الظواهر الاجتماعية - المنطق الموضوعي الضروري للتطور. ويعمل الناس في الحرب في ظل ظروف موضوعية محددة لا تتعلق بإرادتهم ورغباتهم تقرر في نهاية المطاف اتجاه وطبيعة نشاطهم وأهدافهم ومهامهم.²

المحور الحادي عشر:

الأس المنهجي لدراسة الحرب في البحوث العسكرية.

لقد أصبح قانون "ظهور الموضوعية أولا والوعي ثانيا" بديهية لا تحتاج إلى براهين معقدة. إلا أن التفاعل والتأثير المتبادل بينهما في الواقع عملية صعبة للغاية، متعددة الجوانب وغير ثابتة، تنطوي على إمكانية وجود الموضوعية بأنواع مختلفة في أطر المعرفة الشكلية.

ويفترض النهج الموضوعي تجاه ظواهر الحرب والعملية والمعركة من حيث جوهره الإعتراف بالحقيقة الموضوعية وانعكاسها بشكل مماثل في أذهان الناس. أن دراسة النظرية العسكرية والحالة المعنوية - السياسية والنفسية للأفراد والمعارف العسكرية كانعكاس للواقع الموضوعي والأسس العامة للحرب، توفر وحدها إمكانية تحديد طبيعة الحرب المحتملة وشروط وأساليب تنفيذها.

تفسر صعوبة إتباع نهج موضوعي متسلسل في تحليل عمليات الحرب والمعارك بالتنوع الكثير في العوامل الموضوعية المحددة لمضمون المعارف العسكرية والقوى الروحية للقوات. وتتناول على سبيل المثال موضوعا يتعلق ببواعث القوى الروحية للشعب والجيش، ولكي نتوصل إلى حل هذه المسألة بشكل صحيح يجب أن نأخذ في الحسبان كافة العوامل الموضوعية التي تحدد هذه القوى من خلال علاقاتها المتبادلة وتطورها في ظروف معينة للموقف.

تتوقف الروح المعنوية للشعب والجيش قبل كل شيء على أسلوب إنتاج الثروات المادية والعلاقات الإنتاجية السائدة. وتنحصر بواعث تكوين السمات المعنوية - السياسية العالية للمحاربين في ظروف الحياة المادية للمجتمع وفي طبيعة العلاقات الإنتاجية الاجتماعية.

ويؤثر العتاد والأسلحة القتالية على الحالة المعنوية للقوات، حيث يمكن للتفوق التكنولوجي والاستخدام

الأكمل إذا لم تعكس بصورة صحيحة القوانين الموضوعية وما لم تبين اتجاهات تطور العمل العسكري، وإن المعرفة الموضوعية للأعمال العسكرية تعتبر شرطا لا بد منه لكي يتمكن القائد من اتخاذ القرارات المثالية.

إن الإسراع بوتيرة تطوير المعارف العسكرية- العلمية، وازدياد أهمية حل المعضلات الأساسية والتطبيقية للعلم العسكري، وخصائص العلاقة بين النظرية العسكرية وتطبيقاتها وغيرها لا تتطلب التحسين اللاحق للطرق التقليدية للبحوث العلمية- العسكرية فحسب بل ووضع الطرق الجديدة التي سيؤدي استخدامها إلى توفير الإمكانيات لتحقيق أفضل النتائج بأقل استهلاك ممكن من الجهد والوقت والوسائل، وإن نجاح هذه المهمة يتوقف إلى حد كبير على مدى تسليح الكوادر العسكرية بالمعرفة وبأصول البحث.

إندراسة العلوم العسكرية توفر الإمكانيات ليس لعرض مضمون أسس البحث في المعرفة العسكرية- العلمية فحسب بل ولكشف تلك المعضلات التي سيساعد حلها على زيادة فعالية العمل والنشاط الفكري للضباط.

لا تحدد قيمة العمل الاستقصائي وفقا للمعضلات التي جرى حلها فيه فحسب بل ووفقا للمستوى الذي تم بموجبه توجيه البحث العلمي لحل المعضلات الجديدة، وقد علمنا العلم العسكري ضرورة إبراز المعضلات غير المحلولة وتركيز الانتباه عليها لإيجاد حل لها.

إن تعاضم أهمية البحوث وتعقيدها المستمر يتطلبان القيام بتحليل شامل لعملية البحث العلمي العسكري ككل أي منذ طرح المعضلة العلمية حتى وضع نتائج حلها قيد التطبيق العملي في التدريب القتالي للقوات وتحسين جاهزيتها القتالية.

تتوفر في الوقت الحاضر خبرة كافية في مجال البحث العلمي وهذا ما يدعو بإلحاح إلى ضرورة تعميمها ونشرها، وإن النجاح في تنفيذ هذه المهمة سيساعد

تنحصر ميزة الفن العسكري الذي يتطور استنادا على الأسس المنهجية الميدانية في أنه ينطلق من الإقرار والإعتراف بالقوانين الموضوعية للحرب وإمكانية إنعكاسها في مضمون المعارف العسكرية. ولا يتم توفير هذه الميزة بشكل آلي، وإنما في الاستمرار بتعميق المعارف حول طبيعة وشروط الحرب والعملية والمعركة الحديثة.

إن إدراك القوانين الموضوعية للحرب واستخدامها ببراعة في النشاط العملي يرتبط بشكل وثيق بالفهم العلمي للعلاقة القائمة بين العوامل المادية والروحية في الحرب.

خاتمة:

أصبحت عملية المعرفة العسكرية العلمية وتطور النظرية العسكرية من الأمور المعقدة جدا في الوقت الحاضر، ولا يمكن للنظرية العسكرية أن تقوم بوظيفتها (تعليل النشاط القتالي المتوقع) على الوجه

واتخاذ القرار، والظروف النفسية المناسبة للعمل
الفكري في الموقف الخطر والسريع التبدل.

يمكن للطرق المنهجية العلمية العسكرية أن تؤثر تأثيراً
جوهرياً على زيادة فعالية البحوث فقط في حال
استيعاب الكوادر العسكرية لهذه الطرق.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أنه قد أنجزت أعمال كبيرة في
هذا المجال في الآونة الأخيرة حيث أصبحت معضلات
المعرفة العسكرية- العلمية تنشر على صفحات الكتب
العسكرية على نطاق أوسع وأكبر، وكان من الأفضل أن
يعار اهتمام أكبر إلى هذه المسألة وخاصة ما يتعلق منها
بنشر المواضيع حول زيادة فعالية العلم العسكري
وتحسين نتائج البحوث العسكرية العلمية والتبادل
الواسع لخبرة العمل في هذا المجال.

يجب أن تشكل دراسة المنطق وأصول البحث في المعرفة
العسكرية وطرق تنفيذ البحوث جزءاً لا يتجزأ من
التعليم العسكري العالي.

يتم في الآونة الأخيرة تحسين نظام التربية والتعليم
للكوادر العسكرية على أساس تعزيز العنصر الإبداعي
والاستقصائي لديها وإبعادها عن التفكير النمطي (عن
التقليد الأعمى دون وعي).

ليست عملية التعليم عملية لحفظ المعارف الجاهزة
عن ظهر قلب بقدر ما هي نهج مستقل لاستيعاب وفهم
المنهج الدراسي، وهي قبل كل شيء عملية اكتساب
للفكر الإبداعي الخلاق على أساس المعارف المتلقاة.

إن التعليم يعني- نقل المعارف وتطوير القدرة لدى
الطالب والمتدرب لتحسينها واكتساب المهارة في البحث.

إن الطبيعة الديناميكية والميدانية لنظام القوات
المسلحة، والدور القيادي للعقيدة التفاعلية- الميدانية
وأصول البحث العلمي تشكل الشروط الضرورية
للتنفيذ الناجح لمهام المعرفة العسكرية- العلمية وزيادة
فعالية العلم العسكري وتحسين نوعية البحوث

كثيراً على حل المعضلات الجزئية للبحث العلمي التي
تعكس خصائص المرحلة الراهنة للمعارف العسكرية-
العلمية.

إن تحويل العلم العسكري إلى علم أساسي يعني أن
تحليل القوانين الرئيسية للحرب وتحديد آلية عملها
وشرح أشكال ظهورها في الأنواع المختلفة للحروب
الحديثة- يشكل أحد الاتجاهات الهامة للبحوث
العلمية- العسكرية.

ولهذا لا بد من إيجاد حل موضوعي للمعضلات المنهجية:
كالعلاقة بين القوانين الموضوعية للحرب وقوانين العلم
العسكري وتأثير متطلبات القوانين الموضوعية للحرب
على النشاط (العمل) التطبيقي للقوات المسلحة... الخ.

ينشأ عن الجمع بين مستويات المعرفة الأساسية
والتطبيقية في العلم العسكري مجموعة معضلات
منهجية جديدة كتحديد الاختلافات في طرق الحصول
عليها واتجاه تأثير المعارف النظرية على الأسس
التطبيقية.

إن ازدياد أهمية التنبؤ عن تطور الأسلحة وطرق تنفيذ
الحرب مرهون بالتطوير اللاحق لطرق التنبؤ نفسه
وكشف العلاقات خلال عملية التنبؤ والتحليل الكمي
والنوعي وتحديد إمكانيات التنبؤ عن المستقبل.

تتوقف درجة فعالية البحوث العسكرية- العلمية على
القدرات الإبداعية للخلاقة للباحثين وبالتالي يعتبر تفهم
آلية العمل العلمي الخلاق وطرق خلق التفكير الخلاق
لدى الضباط - من المعضلات المنهجية الهامة التي
تتطلب حلاً خاصاً لها.

إن قيادة القوات في المعركة تتطلب من القادة وضباط
الأركان أن يتحلوا بقدرة إدراكية خاصة ولتحقيق ذلك
لا بد من حل معضلتين مقترنتين ببعضهما بشكل وثيق
وهي: تأمين المنطق في تفكير القائد أثناء تقدير الموقف

المحور الثالث: المنطلقات النظرية للمعرفة في الدراسات العسكرية.....
المحور الرابع: نقد الأساس المنهجي للدراسات العسكرية التقليدية.....
المحور الخامس: الإتجاهات الرئيسية للمضمون العلمي في الدراسات العسكري
المحور السادس: طبيعة الحرب وأثرها على المحتوى العلمي في الدراسات العس
المحور السابع: مستوى الإدراك العلمي في الدراسات العسكرية.....
المحور الثامن: الطابع الإبتكاري العلمي في البحوث العسكرية.....
المحور التاسع: البعد الإبداعي للقائد في المعركة: أسس علمية لا بد منها.....
المحور العاشر: الجدل العلمي المنهجي في تطور الفكر العسكري.....
المحور الحادي عشر: الأسس المنهجي لدراسة الحرب في البحوث العسكرية.....
خاتمة.....

العلمية- العسكرية.ولا يتيسر ذلك إلا عن طريق الإسراع في وتيرة تطوير المعارف العلمية العسكرية. مبرزين في نفس الوقت تلك العلاقة الوثيقة القائمة بين النظرية العسكرية وتطبيقاتها الميدانية. وهذا في إطار تأصيل منهج علمي للدراسات العسكرية تقوم على أساس منهج البحث العلمي الإجتماعي. تكون نتائجها مؤهلة للعمل بها قدرالإمكان في العمليات العسكرية.

الهوامش:

الفهرس

المحور الأول

مقدمة.....

1. نقلا عن:

Montagnon Pierre, L'Histoire de la légion de 1831

المحور الأول: الأساس المنهجي للمعرفة العسكرية العلمية (Paris, à nos jours, 2008, Pygmalion, p. 84)

2. نقلا عن:

المحور الثاني: المبادئ المنهجية الأساسية في الدراسات العسكرية.....

Weber Claude, « Ethnographie en milieu militaire », Cahiers de publications doctorales de l'université de Strasbourg, n°2, 2001, pp. 79-91.

3. أنظر:

Hamelin Fabrice, La spécificité militaire, une construction institutionnelle. Le cas de la formation des officiers du génie au XIXe et XXe siècle, Thèse, Institut d'Études Politiques de Paris. 2000, p.192

المحور الثالث

1. أنظر:

Henninger Laurent (dir.), Histoire militaire et sciences humaines, Bruxelles, Complexes. 1999, p.44

2. نقلا عن:

Jankowski Barbara, Pascal Vennesson, « Les sciences sociales au ministère de la Défense: inventer, négocier et promouvoir un rôle », Paris, La Découverte. 2005, p.68

3. أنظر:

Jauffret Jean-Charles, Soldats en Algérie, 1954-1962. Expériences contrastées des hommes du contingent, Paris, Éditions Autrement, 2004, p. 110

4. أنظر:

Larmet Gwenaël, « Comment devient-on camarade de régiment ? », Critiques sociales, n°7, 1995, pp. 3-28.

5. أنظر:

Léger Jean-François, « Pourquoi les jeunes s'engagent-ils aujourd'hui dans les armées ? »,

Pinto Louis, « L'armée, le contingent et les classes sociales », Actes de la recherche en sciences sociales, vol. 1, n°3, 1975, pp. 18-40.

3. أنظر:

Porte Rémy, 2011, Chronologie commentée de la Première Guerre mondiale, Éditions Perrin. P.33

4. أنظر:

Porteret Vincent, « A la recherche du nouveau visage des armées et des militaires français: les études sociologiques du Centre d'études en sciences sociales de la défense », Revue française de sociologie, n°44, vol. 4, 2003, pp. 799-822.

5. أنظر:

Prévoit Emmanuelle, « Alcool et sociabilité militaire: de la cohésion au contrôle, de l'intégration à l'exclusion », Travailler, 2007/2, n°18, 2007, pp. 159-181.

6. أنظر:

Soulet Jean-François, L'Histoire immédiate. Historiographie, sources et méthodes, Paris, Armand Colin. 2010, p. 123

7. أنظر أيضا:

Thiéblemont André, Les militaires sous le regard ethnographique, Revue Défense Nationale, n°06, 1983, pp.73-87.

المحور الثاني

1. أنظر:

Tourtier-Bonazzi Chantal (de) (sous dir.), Le Témoignage oral aux archives. De la collecte à la communication, Paris, Archives nationales, 1990. P. 84

2. أنظر:

Fournier Pierre, « Attention dangers ! Enquête sur le travail dans le nucléaire », Ethnologie française, n°1, vol. 31, 2001, pp. 69-80.

المحور الخامس

1. أنظر:

Goya Michel, La Chair et l'acier – L'armée française et l'invention de la guerre moderne 1914-1918, Tallandier, 2004, p. 22

2. أنظر:

Gresle François, « La « société militaire ». Son devenir à la lumière de la professionnalisation », Revue française de sociologie, n°44, vol. 4, 2003, pp. 777-798.

3. أنظر:

Bardiès Laure, « Du concept de spécificité militaire », Année sociologique, 2011/2, vol. 61, 2011, pp. 273-295.

4. أنظر:

Becker Howard S., Sociological Work: Method and Substance, Chicago, Adeline Publishing, 1970, p. 39

المحور السادس

1. أنظر:

Bizeul Daniel, « Que faire des expériences d'enquête ? Apports et fragilité de l'observation directe », Revue française de science politique, n°1, vol. 57, 2007, pp. 69-80.

2. أنظر:

Revue française de sociologie, n°44, vol. 4, 2003, pp. 713-734.

6. أنظر:

Martin Clément et Pajon Christophe, « Max Weber, le charisme routinisé et l'armée de l'air. L'éducation charismatique au sein d'une école d'officiers », Année sociologique, 2011/2, vol. 61, pp. 2011,383-405.

7. أنظر:

Boëne Bernard, « Classiques des sciences sociales dans le champ militaire », ResMilitaris, vol. 1, n°3, 2011, p.77

المحور الرابع

1. نقلا عن:

Boumaza Magali et Campana Aurélie, « Enquêter en milieu « difficile ». Introduction », Revue française de science politique, 2007/1, vol. 57, 2007, pp. 5-25.

2. أنظر:

Bourdieu Pierre, Chamboredon Jean-Claude et Passeron Jean-Claude, Le métier de sociologue, Paris, Mouton, 1968, p. 96

3. أنظر:

Coton Christel, « Luttés de prestige entre pairs. Le cas des officiers de l'armée de terre », Sociétés contemporaines, n°72, 2008, pp. 15-35.

4. أنظر:

Deschaux-Beaume Delphine, « Enquêter en milieu militaire. Stratégie qualitative et conduite d'entretiens dans le domaine de la défense », ResMilitaris, vol. 1, n°2, 2011, p. 47

5. أنظر:

MURAISE Eric, Introduction à l'histoire militaire,
Paris, Lavauzelle, 1964. P. 87

3. أنظر:

WANTY Emile, *L'art de la guerre*, Paris, Marabout,
1967, p.73

المحور التاسع

1. أنظر:

Gilbert Breton, "L'utilité de l'histoire militaire pour
les militaires", Actes de la journée d'études du 27
septembre 1999, Centre d'étude d'histoire de la
défense, n° 16, 2000. P. 65

2. أنظر:

CLAYTON Anthony, Histoire de l'armée française
en Afrique, 1830-1962, Paris, Albin Michel, 1994.
P. 237

3. أنظر:

CORVISIER André (dir.), Histoire militaire de la
France, Paris, PUF, 1992, p. 355

المحور العاشر

1- أنظر:

FACON Patrick, Histoire de l'armée de l'air, Paris,
La documentation française, 2009. P.161

2- أنظر:

Camille Rougeron, « L'aviation dans la manœuvre
sur réseau de places », Forces aériennes françaises,
décembre 1953, p. 505.

3. أنظر:

Camille Rougeron, Les applications de l'explosion
thermonucléaire, Paris, Berger-Levrault, 1956, p.
79

المحور السابع

1. أنظر:

CHALLIAND Gérard, Dictionnaire de stratégie
militaire, des origines au nucléaire, Paris, Perrin,
1998. P. 19

2. أنظر:

COLSON Bruno, L'art de la guerre. De Machiavel à
Clausewitz, Namur, PUN, 2002. P. 56

3. أنظر:

DREVILLON Hervé, Bataille. Scènes de guerre de
la Table ronde aux tranchées, Paris, Seuil, 2007. P.
51

4. نقلا عن:

KEEGAN John, Anatomie de la bataille, Paris,
Perrin, 2013. P. 215

المحور الثامن

1. نقلا عن:

LYNN John, De la Guerre. Une histoire du combat
des origines à nos jours, Paris, Tallandier, 2006. P.
135

2. أنظر:

GARNIER Jacques (dir.), Dictionnaire des guerres et des batailles de l'histoire de France, Paris, Perrin, 2004. P. 111

3-أنظر:

Boëne Bernard, La spécificité militaire, Paris, Armand Coli.1990, p. 67

4-أنظر:

Herman Kahn, On Escalation, Metaphors and Scenarios, New York, Praeger, 1965. P. 98

المحور الحادي عشر

المصادر والمراجع:

1-الكتب:

1-1- باللغة الفرنسية:

. Arthur L. Wagner, *Elements of military science*,
[\(Kansas City, Mo., Hudson-Kimberly publishingcompany, 1898\)](#)

. Antoine Henri Jomini, Histoire critique et 2
militaire des guerres de Frédéric II, comparées au
système moderne avec un recueil ... de l'art de la
guerre. (Bruxelles, J.B. Petit, 1841)

. André Beaufre (général), Dissuasion et stratégie, 3
.Paris, Armand Colin, 1964

1-أنظر:

Boëne Bernard, Émergence et développement
d'une sociologie spécialisée : le cas de la sociologie
militaire aux États-Unis, Thèse d'État, Université
Paris-V-René Descartes.1995, p. 24

2-أنظر:

Bardiès Laure, Deux siècles de sociologie militaire
en France, Thèse, Université Toulouse-I-Sciences
sociales. 2008, p. 74

3-أنظر:

Camille Rougeron, « Les enseignements de la
guerre du Vietnam », *Forces aériennes françaises*,
265, janvier 1970, p. 39.

- . GARNIER Jacques (dir.), Dictionnaire des 14 guerres et des batailles de l'histoire de France, Paris, Perrin, 2004.
- . Gilbert Breton, "L'utilité de l'histoire militaire 15 pour les militaires", Actes de la journée d'études du 27 septembre 1999, Centre d'étude d'histoire de la défense, n° 16, 2000.
- . Goya Michel, La Chair et l'acier – L'armée 16 française et l'invention de la guerre moderne .1914-1918, Tallandier, 2004
- . Henninger Laurent (dir.), Histoire militaire et 17 sciences humaines, Bruxelles, Complexes. 1999
- . Hamelin Fabrice, La spécificité militaire, une 18 construction institutionnelle. Le cas de la formation des officiers du génie au XIXe et XXe siècle, Thèse, Institut d'Études Politiques de Paris. 2000.
- . Jauffret Jean-Charles, Soldats en Algérie, 1954-19 1962. Expériences contrastées des hommes du contingent, Paris, Éditions Autrement, 2004
- . Jankowski Barbara, Pascal Vennesson, « Les 20 sciences sociales au ministère de la Défense: inventer, négocier et promouvoir un rôle », Paris, La Découverte. 2005
- . KEEGAN John, Anatomie de la bataille, Paris, 21 Perrin, 2013.
- . Lucien Poirier (colonel), Éléments pour la 22 théorie d'une stratégie de dissuasion concevable
- . Boëne Bernard, La spécificité militaire, Paris, 4 Armand Colin. 1990
- . Bourdieu Pierre, Chamboredon Jean-Claude et 5 Passeron Jean-Claude, Le métier de sociologue, Paris, Mouton. 1968
- . CORVISIER André (dir.), Histoire militaire de la 6 France, Paris, PUF, 1992
- . CLAYTON Anthony, Histoire de l'armée 7 française en Afrique, 1830-1962, Paris, Albin Michel, 1994.
- . COLSON Bruno, L'art de la guerre. De 8 Machiavel à Clausewitz, Namur, PUN, 2002.
- . CHALLIAND Gérard, Dictionnaire de stratégie 9 militaire, des origines au nucléaire, Paris, Perrin, 1998.
- . Camille Rougeron, Les applications de 10 l'explosion thermonucléaire, Paris, Berger-Levrault, 1956
- . DREVILLON Hervé, Bataille. Scènes de guerre 11 de la Table ronde aux tranchées, Paris, Seuil, 2007.
- . Édouard Hardÿ de Périni, *Les batailles 12 d'autrefois / par Hardÿ de Périni; avec une préface de Alfred Mézières.* [\(Paris : E. Plon, Nourrit, \[1888?\]\)](#)
- . FACON Patrick, Histoire de l'armée de l'air, 13 Paris, La documentation française, 2009.

- . Pierre-Marie Gallois (général), Stratégie de 31
l'âge nucléaire, Paris, Calmann-Lévy, 1960.
- . Soulet Jean-François, L'Histoire immédiate. 32
Historiographie, sources et méthodes, Paris,
.Armand Colin. 2010
- . Tourtier-Bonazzi Chantal (de) (sous dir.), Le 33
Témoignage oral aux archives. De la collecte à la
communication, Paris, Archives nationales, 1990.
- . WANTY Emile, L'art de la guerre, Paris, 34
.Marabout, 1967
- . MURAISE Eric, Introduction à l'histoire 24
militaire, Paris, Lavauzelle, 1964.
- . Montagnon Pierre, L'Histoire de la légion de 25
(.) Pygmalion, 2008:1831 à nos jours, (Paris
. Officier d'état-major, *Manuel de 26
connaissances militaires pratiques ...* (Paris,
[Dumaine, 1874](#))

1-2- باللغة الإنجليزية:

1. ArmyWarCollege (U.S.), *Camouflage for troops
.of the line* / ([Washington : G.P.O., 1920](#))
- . B.C. Guiguzi. Japanese 1911 Guiguzi and 2
ReiunTaoka, Wayakushichisho, wayakuKikokushi
/ (Tōkyō : Genkōsha, Meiji 44 [1911])
- . B.C. Sunzi, Qi Wu, and YutakaNishimura, 3
Sonshi, Goshikōgi / (Tōkyō : Gakuyūkan, Meiji 27
.[1894])
- . Becker Howard S., *SociologicalWork: Method 4
and Substance*, Chicago, Adeline Publishing.
.1970
- . Colmar Goltz and George Francis Levenson, *The 5
conduct of war; a short treatise on itsmost*
- . Pinto Louis, « L'armée, le contingent et les 27
classes sociales », Actes de la recherche en
.sciences sociales, vol. 1, n°3, 1975
- . Porte Rémy, 2011, *Chronologie commentée de 28
la Première Guerre mondiale*, Éditions Perrin.
.2006
- . Prévot Emmanuelle, « Alcool et sociabilité 29
militaire: de la cohésion au contrôle, de
l'intégration à l'exclusion », *Travailler*, 2007/2,
.n°18, 2007
- . Paul Gaston Dubois, *L'artillerie de campagne 30
dans les guerres actuelles 75 & 90.* (Paris:
[Fournier, 1916](#))

- . Friedrich vonBernhardi, *How Germany 15 makeswar*, (New York, G.H. DoranCompany, [c1914])
- . Ferdinand Foch and Hilaire Belloc, *The 16 principles of war*, (New York, H. Holt and company, 1920)
- . George Townsend Warner, *How warswere 17 won: a short study of Napoleon's times*/(London, Glasgow [etc.]: Blackie and Sons, Limited, 1915)
- . G. F. R. Henderson, Frederick Sleigh Lord 18 Roberts, and Neill Malcolm, *The science of war; a collection of essays and lectures, 1891-1903*,(London, New York : Longmans, Green, 1910)
- . G. B. Grundy, *Thucydides and the history of 19 hisage*,(London, J. Murray, 1911)
- . H. Sutherland Edwards, *The Germans in 20 France : notes on the method and conduct of the invasion, the relations betweeninvaders and invaded, and the modern usages of war*/(London: E. Stanford, [1874])
- . H. W. Halleck, *Elements of military art and 21 science, or, Course of instruction in strategy, fortification, tactics of battles, &c: embracing the duties of staff, infantry, cavalry, artillery, and engineers : adapted to the use of volunteers and militia*/(New York: D. Appleton, 1860).
- . H. L. Scott and Alexis Soyer, *Civil 22 Warmilitarydictionary: includes 1855 rifle manual, important branches and guidingrules*,(London, K. Paul, Trench, Trübner&co.ltd. 1899)
- . Colmar Goltz and Philip A. Ashworth, *The 6 .nation in arms*.(London, W.H. Allen, 1887)
- . Colmar Goltz and J. T. Dickman, *The conduct of 7 war: abriefstudy of itsmost important principles and forms*,(Kansas City, Mo., Hudson-Kimberly publishingco. 1896)
- . C. Sharpe, *Making a soldier* /(Cleveland : Acme 8 .Pub. Co., c1908)
- . C. M. Enriquez, *Kachin militaryterms/ by C. M. 9 Enriquez*.(Rangoon: Superintendent, Government .Printing, Burma, 1919)
- . Clinton Cortlandt Anderson, *The warmanual. 10* .(London, T. F. Unwin, [1916-])
- . C. F. Tweney, *Dictionary of naval and 11 militaryterms, withnames and description of the principal ships in the British navy*, (London, T. F. .Unwin, [1914?])
- . Everard Ferguson Calthrop, *The book of war, 12 the militaryclassic of the Far East*,(London: J. Murray, 1908)
- . Edwin D. Mead, *Jean de Block and "The future 13 .of war"*/(Boston: International Union, [1903])
- . F. N. Maude, *Cavalry versus infantry*,(Kansas 14 .City : Hudson-Kimberly Pub. Co., [c1896])

- . Paul Leopold Eduard Heinrich Anton 30
BronsartvonSchellendorff and W. A. H. Hare, *The
duties of the general staff* / ([London : C. Kegan
Paul & Co., 1877-1880](#))
- . Robert Christie Cotton, *Battle studies; ancient 31
and modern battle*, ([New York, The Macmillan
company, 1921](#))
- . Robert Burn, A naval and 32
militarytechnicaldictionary of the French
language. In two parts: French-English, and
English-French; with explanationa of the
.various terms. (London: J. Murray, 1854)
- . Ralph Payne-Gallwey, A summary of the 33
history, construction and effects in warfare of the
projectile-throwingengines of the ancientswith a
treatise on the structure, power and management
of Turkish and other oriental bows of mediaeval
and later times/ (New York, Bombay, and Calcutta
: Longmans, Greens, and Co., 1907)
- . Stanley C. Johnson, *Chats on military curios*, 34
.[\(New York, Stokes, \[1915\]\)](#)
- . *Services, House of Representatives, One 35
HundredTwelfthCongress, first session:
Subcommittee on EmergingThreats and
Capabilitieshearing on budget request for
Department of Defense science and technology
programs, hearingheld March 1, 2011.*
(Washington : U.S. G.P.O. : For sale by the Supt. of
.Docs., U.S. G.P.O., 2011)
- and 1861 Armycook book / (Harriman, Tenn. :
.Pioneer Press, c1956)
- . Herman Kahn, *On Escalation, Metaphors and 23
Scenarios*, New York, Praeger, 1965
- . Jan Bloch and R.C. Long, *The future of war: in 24
itsechnical, economic, and political relations*./
[\(Boston: Ginn, 1899\)](#)
- . Paul Jean Louis Azan and Julian Lowell 25
Coolidge, *The warfare of to-day*,[\(Boston and New
York, Houghton Mifflinco. 1918\)](#)
- . J. B. Wheeler, *A course of instruction in the 26
elements of the art and science of war. For the use
of the cadets of the United States
MilitaryAcademy*. [\(New York : D. Van Nostrand,
.1879, c1878\)](#)
- . Jean Lambert Alphonse Colin and Ladislas 27
Herbert Richard Pope-Hennessy, *France and the
nextwar*, [\(London, Hodder& Stoughton \[etc.,
.1914\]\)](#)
- . John A. Lockwood, *Cadet'shandbook: amanual 28
for militarystudentsatcolleges and academies /*
(Kansas City, Mo. : Hudson-Kimberly, c1903)
- . N. Maude, *On tactics and organization; or, 29
English military institutions and the continental
systems*. [\(London, W. Thacker& Co.; \[etc., etc.\],
.1888\)](#)

- . -----, French 43
militarydictionary; English-French, French-English.
(Washington, 1944)
- . ----- Library and 44
David Fitzgerald, *Alphabetical catalogue of the
Wardepartmentlibrary (includinglawlibrary)
Authors and subjects.* (Washington: Govt. print.
.off. 1882)
- . United States. Military Commission to Europe, 45
Josiah Gorgas, Julius Schön, and Alfred Mordecai,
*Military commission to Europe in 1855 and 1856.
Report of Major Alfred Mordecai, of the
Ordnancedepartment.* (Washington, G. W.
.Bowman, printer, 1861)
- . United States. Dept. of the Army and United 46
States. WarDept, DA pam. (Washington:
Headquarters, Dept. of the Army), 2002.
- . United States. Air Force ROTC. Air science / 47
(Montgomery, Ala. : U.S. Air University, Air Force
.Reserve Officer Training Corps, 1953-1954)
- . William R. Hamilton, 48
Elementaryprinciplesconnectedwith the art of war,
being instructions for the care of
minororganizations in time of peace or war.
Designed for the use of militarycolleges, National
Guardsmen and volunteers. (Washington, J.H.
.Soule & Co., 1887)
- . Spenser Wilkinson, *War and policy : essays /*36
(Westminster : A. Constable, 1900)
- . Stephen R. Pinckney, *National Guardmanual /*37
(New York : F. McElroy, 1863, c1862)
- . Theodore Ayrault Dodge, *Cæsar; ahistory of* 38
*the art of waramong the Romans down to the end
of the Roman Empire ...* (Boston, New York,
Houghton, Mifflin and Company, 1892)
- . -----, *Napoleon; ahistory* 39
of the art of war, (Boston, New York, Houghton,
Mifflin and company, 1904-07)
- . ----- ,*Hannibal; ahistory of*40
*the art of waramong the Carthaginians and
Romans, down to the battle of Pydna, 168 B.C.,
with a detailedaccount of the second Punicwar.*
(Boston, 1891)
- . United States. Congress. House. Committee on 41
Armed Services. Subcommittee on
EmergingThreats and Capabilities, *Hearing on
National DefenseAuthorizationAct for Fiscal Year
2012 and oversight of previouslyauthorized
.programs before the Committee on Armed*
- . United States. WarDepartment. Committee on 42
education and special training and Homer Levi
Dodge, *Problems in physics. Derivedfrommilitary
situations and experience.* (Washington?,
.1919?])

. Boëne Bernard, « Classiques des sciences 5
sociales dans le champ militaire », ResMilitaris,
.vol. 1, n°3, 2011

2-رسائل جامعية:

. Camille Rougeron, « L'aviation est-elle menacée 6
par le prodigieux développement des engins
.téléguidés ? », *Science et vie*, 435, décembre 1953

1-2- باللغة الفرنسية:

. -----, « Les super-bombardiers et la 7
stratégie mondiale », *Science et vie*, 401,
.février 1951

1. Boëne Bernard, Émergence et développement
d'une sociologie spécialisée : le cas de la sociologie
militaire aux États-Unis, Thèse d'État, Université
.Paris-V-René Descartes. 1995

.-----, « Armes nouvelles et 8
bombardement intercontinental », *Science et vie*,
.339, décembre 1945

2. Bardiès Laure, Deux siècles de sociologie
militaire en France, Thèse, Université Toulouse-I-
.Sciences sociales. 2008

.-----, « Les enseignements de la 9
guerre du Vietnam », *Forces aériennes françaises*,
.265, janvier 1970

3-مقالات:

.-----, « L'aviation dans la 10
manœuvre sur réseau de places », *Forces
.aériennes françaises*, décembre 1953

1-3- باللغة الفرنسية:

. Coton Christel, « Luttés de prestige entre pairs. 11
Le cas des officiers de l'armée de terre », *Sociétés
.contemporaines*, n°72, 2008

. Arianne Mireille, « Mines atomiques tactiques », 1
. *Forces aériennes françaises*, mai 1965

. Deschaux-Beaume Delphine, « Enquêter en 12
milieu militaire. Stratégie qualitative et conduite
d'entretiens dans le domaine de la défense »,
.ResMilitaris, vol. 1, n°2, 2011

. Bizeul Daniel, « Que faire des expériences 2
d'enquête? Apports et fragilité de l'observation
directe », *Revue française de science politique*,
.n°1, vol. 57, 2007

. Esposito Bernard, « Aviation tactique et 13
aviation stratégique », *Forces aériennes françaises*,
.226, juin 1966

. Bardiès Laure, « Du concept de spécificité 3
militaire », *Année sociologique*, 2011/2, vol. 61,
.2011

. Boumaza Magali et Campana Aurélie, 4
« Enquêter en milieu « difficile ». Introduction »,
Revue française de science politique, 2007/1, vol.
.57, 2007

études sociologiques du Centre d'études en sciences sociales de la défense», Revue française de sociologie, n°44, vol. 4, 2003 . François Géré, «Quatre généraux de 14 l'apocalypse: Ailleret-Beaufre-Gallois-Poirier », dans *Stratégique*, 1^{er} janvier 1992

. Thiéblemont André, Les militaires sous le 23 regard ethnographique, Revue Défense Nationale, n°06, 1983 . Fournier Pierre, « Attention dangers ! Enquête 15 sur le travail dans le nucléaire », Ethnologie française, n°1, vol. 31, 2001

. Weber Claude, « Ethnographie en milieu 24 militaire », Cahiers de publications doctorales de l'université de Strasbourg, n°2, 2001 . Jacques sean, « De l'explosion haute aux 16 charges de 100 mégatonnes », *Forces aériennes françaises*, 180, avril 1962

. Leotard Lévy, « La guerre du Vietnam, engins 17 sol-air et engins sol-sol », *Forces aériennes françaises*, 224, avril 1966

2-3- باللغة الإنجليزية:

1. Agar, Michael. War and peace. *Newsletter of the Society for Applied Anthropology* 19 (1) Feb: 5-7. (2008). . Larmet Gwenaël, « Comment devient-on 18 camarade de régiment ? », Critiques sociales, n°7, 1995

2. Ackerman, Spencer. A counterinsurgency guide for politicians. *The Washington Independent*, July 28.(2008). . Léger Jean-François, « Pourquoi les jeunes 19 s'engagent-ils aujourd'hui dans les armées ? », Revue française de sociologie, n°44, vol. 4, 2003

. The Military gazette. (New York: [Charles G. 3 Stone, -1861)

. Martin Clément et Pajon Christophe, « Max 20 Weber, le charisme routinisé et l'armée de l'air. L'éducation charismatique au sein d'une école d'officiers », *Année sociologique*, 2011/2, vol. 61, pp. 2011

. Patrick Cassey « Engins et anti-engins », *Forces 21 aériennes françaises*, 234, mars 1967

. Porteret Vincent, « A la recherche du nouveau 22 visage des armées et des militaires français: les